الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

–جامعة أحمد دراية – أدرار–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : تعليمية اللغات.

إعداد الطالبة:

زينب تابت

إشراف الدكتور:

عبد العزيز ابليلة

لجنة المناقشة :

الدكتور عبد العزيز ابليلة	الدكتورة إكرام تكتك	الدكتور لخضر لغزال
مشرفا	رئيسا	مناقشا

تاريخ المناقشة : 10/ 06 / 2019

السنة الجامعية : 1439 – 1440هـ/2018– 2019م

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أحبّ الناس إلى قلبي إلى كل هؤلاء :

إلى قرة عيني وسكينة روحي زوجي الحبيب **محمد**.

إلى أمّي وأبي اللذان أستظل بدعائهما أينما ذهبت ، وحيثما حللت .

إلى فلذتي كبدي : **هدى** و **عبد الحفيظ** .

إلى أحبّاء قلبي ونور فؤادي : إخوتي وأخواتي جميعا .

إلى إخوتي في الله الذين أحبّهم ويحبّونني فيه .

إلى كل غيور على وطنه يطمح للأفضل ويسعى للأجمل .

إلى كل عالم و متعلم يستنيران بنور العلم .

إلى كل غيور على لغة الضاد لغة القرآن الكريم .

شكر وعرفان

يارب حمدا ليس غيرك يحمد يامن له كل الخلائق تصمد

أبواب كل مُمَلَّكٍ قد أوصّدت ورأيت بابك واسعا لا يوصد

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك على أن وفّقتني لإنجاز هذا العمل، وألهمتني الصبر والقوّة لإتمامه. ثمّ أتقدّم بالشكر الجزيل، والثناء غير القليل لكل من أعاني من قريب أو من بعيد.

وأخصّ بالذكر فضيلة الدكتور **عبد العزيز ابليلة أبي عمر** مَن أشرف على هذا العمل وأسعفني بملاحظاته الدقيقة، وآرائه السديدة، والتي لولاها لوقعت في زلات عديدة. فجزاه الله عني خير الجزاء وأجزل له العطاء.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى رفيق دربي زوجي الدكتور محمد والذي لولا الله ثمّ لولاه لما رأى هذا العمل النور. فشكرا له على صبره معي.

وفي الختام أتقدّم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها على نصائحهم الغالية، وقيّمهم العالية، وأفكارهم الساميّة التي لا طالما شحذوا هممنا بها.

مقدمة

بسم الله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للأمم وعلى آله وصحابته ذوي الهمم.

وبعد :

يقول الحق تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(الزمر:9) ، هذه الآية الكريمة تبيّن لنا أنّ الإنسان الذي يعلم يختلف تماما عن الإنسان الذي لا يعلم ؛ فالذي يعلم يسير وفق الطريق الصحيح السليم ، والذي لا يعلم يسير خبط عشواء فيضلّ عن الطريق القويم.

والتعليم عمليّة فطريّة مستمرّة استمرار حياة الإنسان ، لكن لابدّ من منهج تعليمي يضبطه ويقوّمه ، والمنهج التعليمي ظهر جليّا في آي القرآن العظيم ، وفي أحاديث الرسول الكريم ، وفي أقوال الصحابة رضوان الله عليهم كما كان حاضرا في مدوّنات الشعر والقصص وغيرها كالمقامات.

انطلاقا ممّا سبق جاء عنوان مذكّرتي موسوما بـ **المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني** ، والإشكاليّة التي تتبادر إلى الذهن هي : إذا كانت المقامات غلب عليها الحكي والخيال والكدية والاحتيال ، فكيف وجد المنهج التعليمي إليها سبيلا؟ ، وكيف وجدت لنفسها فيه مكانا؟

وللتعمّق في جزئيات هذه الإشكاليّة صُغْت الأسئلة الفرعيّة الآتية :

- ما مفهوم المنهج التعليمي ؟
- المقامة في أدبنا العربي ما مفهومها؟ ومتى نشأت؟ وكيف تطوّرت ؟
- من هو بديع الزمان الهمذاني ؟
- كيف تجلّى المنهج التعليمي عند القدماء عموما وعند الهمذاني من خلال مقاماته خصوصا؟
- ما هي دلالات تطبيق هذا المنهج في هذه المقامات؟ وما هي القراءات التي تتراءى من خلاله؟

ولأتوصّل للمحة بسيطة حول الموضوع صُغْت الفرضيات الآتيّة :

- قد يكون المنهج التعليمي كل خطة أو طريقة يستطيع الفرد من خلالها أن يتلقى معارف تغيّر من أفكاره وسلوكياته في الحياة.
- لعلّ المقامة هي قصة خياليّة تهدف إلى التسليّة أحيانا ، وإلى التعليم أحيانا أخرى .
- ربما يكون بديع الزمان الهمذاني هو أوّل من كتب في فن المقامة.
- كلّ مدوّنة تحكي عن أمور الحياة اليوميّة للنّاس قد تتضمّن في طيّاتها منهجا تعليميا ظاهرا أوخفيّا.
- المقامة بأسلوبها الجميل المسجوع لعلّ هذا من أجل تعليم الناشئة فنون الكلام ، وطرائق الإنشاء والقول.

أمّا أسباب اختياري للموضوع فهناك أسباب ذاتيّة وأخرى موضوعيّة ؛ أمّا الذاتيّة فتتعلّق بشغفي بفن المقامة وأسلوبها وطريقة نسجها ، وأمّا الموضوعيّة فتتجلّى في الكشف عن الجانب التعليمي في المقامات والذي لم يعتن به الباحثون إلاّ قليلا في طيّات كتبهم ولم يفردوا له مصنّفات خاصّة به.

ويكتسي هذا الموضوع أهميّته من أهميّة التعليم نفسه ؛ فلا يمتري أحد ولا يختلف اثنان في أهميّة التعليم وفوائده النفسية والاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها ، وبفضله يكون الفرد قادرا على حل مشكلاته وتنميّة مهاراته ويكون قادرا على إعانة الآخرين على شحذ قواهم العقليّة ، واستثارة نشاطاتهم الذهنيّة.

وأهدف من خلال هذا الموضوع إلى إعطاء صورة ولو مبسّطة عن تجلّيّات المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني.

واعتمدتُ في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي وقد وظّف ته في عرض التعريفات والمفاهيم المختلفة والربط بينها وتحليلها ، كما وظّفتهُ في تبيين الجوانب التعليمية المستخرجة من مقامات الهمذاني والتعليق عليها.

أمّا فيما يخصّ الدراسات السابقة حول الموضوع لم أطّلع على أيّة دراسة خصّت الجانب التعليمي في المقامات ـ على حدّ علمي القاصر ـ لكنّي اطّلعت على بعض الدراسات حول مقامات الهمذاني ، منها بحث بعنوان : تلقّي مقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث من خلال كتاب المقامات والتلقي لنادر كاظم ، وهو بحث لنيل متطلبات الماستر للطالب مداني خويلدي بجامعة قاصدي مرباح بورقلة للموسم 2017/2016 م.

ولا أقول إنّ طريق البحث كان معبّدا مفروشا بالأزهار، وإنّما اعترضتني فيه بعض الأشواك والأحجار فتجسّدت جملة من الصعوبات ، منها الموضوعيّة العلمية ومنها الشخصيّة الذاتيّة ؛ أمّا الموضوعيّة العلميّة فندرة المراجع المتخصصة في التعليمية القديمة فجُلّ ما يتعلّق بها مبثوث في كتب الدِّين وكتب التربية وكتب علم النفس وغيرها ، ممّا يجعل الباحث يحتار فيما يستنتجه منها.

وأمّا الشخصيّة الذاتيّة فكون ميلاد هذا البحث جاء موافقا لميلاد ابني ؛ فكن ت في بهيم الليل ألاعب رضيعي بيُسْرَاي ، وأداعب لوحة المفاتيح بِيُمْنَاي ، وكم من فكرة تجمّعت لديّ أطَارَتْها وشتّتْها صُرَاخاتُ ابْنَيّا.

واعتمدت خطّة من مقدّمة ثمّ مدخل ثمّ فصلين وخاتمة ؛ في المدخل وضّح ت مفاهيم المصطلحات الواردة في العنوان حتى لا يقع للقارئ شرخ بين المقدّمة والفصل الأوّل. أمّا الفصل الأوّل فخصّصتهُ للمنهج التعليمي عند القدماء وتفرّع إلى ثلاثة مباحث ؛ الأوّل:أسس العمليّة التعليميّة عند القدماء، والثاني: أهداف العمليّة التعليمية عند القدماء، والثالث : شروط ومقوّمات التعليم الجيد.

أمّا الفصل الثاني فتطرّقت فيه إلى مقاربة تطبيقية للمنهج التعليمي في مقامات الهمذاني وتفرّع هذا الفصل إلى مبحثين ؛ الأوّل : المقامات التي تضمنت المنهج التعليمي ، وكان ذلك باستخراج المواضع من المقامات وحصرها، والثاني: دلالات تطبيق المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني.

ومن المصادر والمراجع التي اعتمد تها في بحثي هذا مقامات بديع الزمان الهمذاني بشرح الشيخ محمّد عبده وهي المدوّنة الأساسيّة التي استخرج تُ منها مواضع المنهج التعليمي ، وكتاب المقامة لشوقي ضيف باعتبار أنّ هذا الكتاب من أوّل الكتب التي تحدّثت عن فن المقامة ، ومقدّمة ابن خلدون هذا الكتاب الأصل والأساس الذي عُدّ بحقّ مقدّمة لشتّى العلوم ، ومن المعاجم لسان العرب فهو جامع لما في المعاجم التي سبقته.

هذا ما أدّاني إليه جهل المقلّ فإن وُفِّق تُ وأصبتُ بفضلٍ من الله وعونه وحسن توفيقه ، وإن حِدْتُ عن الصواب فأسأل الله المغفرة والثواب. وأجر الاجتهاد ، وما توفيق ي إلا بالله هو حسبي وعليه التكلان.

مدخل :قراءة في مصطلحات العنوان.

أولا :مفهوم المنهج التعليمي.

ثانيا :المقامة في الأدب العربي :[المفهوم والنشأة والتطور]

ثالثا :ترجمة بديع الزمان الهمذاني.

إنّ المتأمّل في هذا العالم الحديث اليوم ، و المَمَحِّص لمختلف التشكيلات للشعوب والقبائل التي ترسم خرائطه السكانية ، لا يسعه إلا أن يقول سبحان الله ، فكيف لهؤلاء البشر أن يتفاعلوا فيما بينهم، وكيف لهم أن يفقه بعضهم ما يُسَرّ لبعض وقد تجاوز عددهم عتبة المليار الثامن ؟ .

إنّ وراء هذا التناغم وهذه البساطة في التعامل سرّاً مهمّاً وأداة فعّالة ، ألا و هي : اللغة . إنها المفتاح الحقيقي والأساسي الذي يسهل عملية التواصل والاتصال بين مختلف شرائح المجتمعات ،والشيء المهم عن هذه اللغة هو أنها جميعها ما هي إلا عبارة عن مجموعة من المصطلحات على مختلف أشكالها.

وإذا كان لا بدّ من فهم مصطلحات كلّ علم لفهم مسائله ، و العلوم تتجدّد وتتقدّم بتجدّد المصطلحات وتقدّمها ، ولما كان للمصطلح هذا الشأن ، وحتى لا يحدث للقارئ شرخ بين عنوان البحث ومضمونه ، كان لزاما عليّ أن أعرّف بالمصطلحات الواردة في العنوان في هذا المدخل ،وذلك في العناصر الآتية:

أوّلا: مفهوم المنهج التعليمي :

مصطلح المنهج التعليمي يتكون من كلمتين المنهج ، والتعليمي ، وسنعرّف الكلمتين لغة واصطلاحا ، لنصل إلى التعريف الكامل لهذا المصطلح .

1 . مفهوم المنهج:

أ. المنهج لغة:

أمّا المنهج في اللغة فمن مادة نهج ، يقال: « طريق نَهْج : واسع واضح وطريق نَهْجَة و نَهَجَ الأمر وأنْهَجَ – لغتان – أي واضح. »[1]

وجاء في لسان العرب « طريق نَهْج : بيّن واضح، وسبيل نهج كمنهج ...والمنهاج كالمنهج . وفي التنزيل : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [2]، وفلان يستنهج سبيل فلان أيّ: يسلك مسلكه. والنّهج: الطريق المستقيم. »[3]

إذن : كلمة منهج في اللغة تدل على معنى: السلوك ثمّ آل استعمال الكلمة إلى السلوك الذي يتصف بالبيان والوضوح ويتصف بمعنى الاتساع أيضا .

---

[1] –كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 2003 م/1424هـ، م4 ، ص 270.

[2] – القران الكريم، سورة المائدة ، الآية: [48]

[3] – لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، (د ت) ، مادة (نهج) ، ج 2 ، ص 383 .

ب . المنهج اصطلاحا:

أمّا المنهج في الاصطلاح فيعرّف بعدّة تعاريف، اخترتُ منها التعريفين الآتيين:

الأول : المنهج هو : « فن التنظيم الصحيح لسلسة من الأفكار العديدة ، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين ، أو من أجل البرهنة عليها حين نكون بها عارفين . »[1]

والآخر : المنهج هو : « أسلوب منظم أو خطة استراتيجية تستند إلى مجموعة من الأسس والقواعد ، والخطوات تفيد في تحقيق أهداف البحث باتخاذه منحى علميا يتميز بجمع المعلومات والوقائع عن طريق الملاحظة العلمية الموضوعية والمنظمة. »[2]

من خلال عرض التعريفين السابقين ، ألاحظ أن التعريف الأول اعتبر المنهج فنّاً يقوم على أساس تنظيم الأفكار بطريقة صحيحة ، ويهدف لغرضين مهمين ، للبحث عن الحقيقة وإيجادها ، أومن أجل تعليلها والاحتجاج حولها وتدليلها .

أما التعريف الثاني فيرى أن المنهج أسلوب لكن لابد أن يستند إلى قواعد توصل إلى أهداف البحث المنشودة عن طريق آليات محدودة.

2 . مفهوم التعليم:

أ . التعليم لغة:

أمّا التعليم لغة فمن مادة علم و « عَلِمَ يَعْلَمُ عِلما ، نقيض جهل . » [3]

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395) في باب العين واللام وما يثلثهما :

[1] – مناهج البحث العلمي ، عبد الرحمان بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط3 ، 1977 ، ص04

[2] – البحث في العلوم الاجتماعية الوجيز في الأساسيات والمناهج والتناسيق ، علي معمر عبد المؤمن ، دار الكتب الوطنية بنغازي لبنان ، ط1 2008، ص 14 .

[3] –كتاب العين ، مادة (علم) ، ج3 ، ص221 .

« العين واللام والميم أصل صحيح واحد ، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره...وتعلّمت الشيء، إذا أخذت علمه والعرب تقول : تعلم أنّه كان كذا ، بمعنى اعلم.» [1]

و « تَعَلَّمَ الأَمْرَ : أتقنه وعرفه » [2]

من خلال المعاني السابقة أستنتج أن التعليم في اللغة يأتي بعدة معان منها المعرفة والإتقان والتميّز وفيه معنى ضد الجهل.

ب . التعليم اصطلاحا:

التعليم اصطلاحا له عدة تعريف بحسب الوجهة التي ينظر منها كل باحث ومنها: التعليم هو: « إيصال المعلِّم العلم والمعرفة إلى أذهان التلاميذ ، بطريقة قويمة وهي الطريقة الاقتصادية التي توفر لكل من المعلم والمتعلم الوقت والجهد في سبيل الحصول على العلم والمعرفة. »[3]

ويعرف أيضا بأنه : « نشاط يقوم به المعلّم لتسهيل العلم بهدف إحداث تغيرات معرفية ومهارية ووجدانية لدى الطلاب ، وهو نشاط مقصود من المعلّم لتغيير سلوك طلابه وبالتالي فان التعليم عملية تفاعل اجتماعي لتطوير معارف ومهارات وقيّم واتجاهات المتعلِّم عبر عمليّة تفاعل معقّدة بين المعلّم والمتعلّم لتحقيق الأهداف مما يستدعي جهداً مقصوداً لمساعدة الآخرين على التعلّم بتزويدهم بالمعلومات أو المهارات.»[4]

من خلال التعريفين أتوصّل إلى أن التعليم : هو تلك العملية التي يتمّ بواسطتها نقل المعارف و العلوم والقيم والمهارات ومختلف المعلومات ، من المعلم إلى المتعلم بهدف مساعدة المتعلم على اكتساب الخبرات ، ومختلف المهارات ، وتنشئته عقلياً وجسدياً ونفسياً ليكون شخصاً قادراً على التفاعل الاجتماعي الإيجابي المثمر. وله القدرة على دمج تلك المعارف والعلوم والقيم والمهارات في الحياة اليومية ، وتوظيفها من أجل حل المشكلات التي تصادفه فيها .

1- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 2011 ، ج2 ، ص159 .

[2]- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، قام بإخراجه إبراهيم أنيس وآخرون،إشراف حسن على عطيه ، ومحمد شوقي أمين (د .ت) ، ص 55

[3]- التوجيه في تدريس اللغة العربية ، محمد علي السمان ، دار المعارف ، القاهرة ، (د. ت) ،ص12 .

[4] - التعلم والتعليم (مدارس وطرائق) ، جان عبد الله توما ،المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، ط1، 2011، ص20.

ومن المفاهيم اللصيقة بمفهوم التعليم مفهوم التدريس ويعرّف بأنّه : « مهنة يحتاج من يقوم بها إلى إعداد جيّد فهي ليست مجرّد أداء آلي يمارسه أيّ فرد ، لكنّها مهنة لها أصولها ، وعلم له مقوّماته ، وفن له مواهبه ، وعمليّة تربويّة تقوم على أسس وقواعد ونظريّات وعمليّة بناء وتكوين الأجيال المتعاقبة ، و الحقب المتلاحقة.»[1]

وبالرغم من أنّ التعليم والتدريس متداخلان فيما بينهما لكنّ مصطلح التعليم أوسع من مصطلح التدريس لأنّه يتناول المعارف والقيّم والمهارات ، ويتمّ داخل المؤسّسات وخارجها ، أمّا التدريس فمحدود لأنّه يقتصر على المعارف والقيّم دون المهارات ، ولا يتمّ إلّا في المؤسّسات التعليميّة .

من خلال عرض تعريفي "المنهج " و "التعليم " أنوّه إلى أن كلمة المنهج المستخدمة في هذا البحث ليست بمعناها الخاص المعروف اليوم على نحو قولنا: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي ، و وإنما مفهوم المنهج ههنا بمعناه العام الذي يمثل الخطة أو الاستراتيجية لعرض المعلومات والأفكار.وهو أقرب للمنهج الدراسي بالمفهوم الحديث الذي أصبح يشمل المقررات والطرائق والأهداف، وكل الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية والرياضية وغيرها والتي توفرها المؤسسة التعليمية للمستعملين.

ومنه المقصود بالمنهج التعليمي : تلك الخطط والاستراتيجيات والقواعد التي يتم بها نقل المعارف والعلوم والقيم وتؤدي إلى التعلّم.

ثانيا: المقامة في الأدب العربي : (المفهوم والنشأة والتطور)

1 . المفهوم:

أ . المقامة لغة:

وردت كلمة مقامة في المعاجم العربية بعدّة معان، جاء في معجم العين في مادة(قوم)

« وتقول : قُمْتُ قياماً ومَقاماً ، وأقَمْتُ في المكان إقامة ومُقاما . والمِقام : موضح القدمين والمَقام والمَقامة : الموضع الذي تقيم فيه. »[2]

وجاء في لسان العرب « المِقام والمَقامة : المجلس ، ومقامات الناس مجالسهم... والجمع مقامات . ومقامات الناس مجالسهم ، والمَقامة ، والمقام : الموضع الذي تقوم منه والمقامة : السادة. »[3]

---

1 – التدريس نماذجه ومهاراته ،كمال عبد الحميد زيتون، عالم الكتاب ، القاهرة ، ط1 ، 1424 هـ/2003 م ، ص34 .

2 –كتاب العين ، مادة (قوم) ، ج3، ص221.

3 – لسان العرب، مادة (قوم)، م12 ، ص498 .

وجاء في المعجم الوسيط « والمِقامة:الجماعة من الناس ، والمِقامة:المجلس . والمقامة: الخطبة أو العظة أو نحوهما والمقامة قصة قصيرة مسجوعة ، تشتمل على عظة أو ملحة كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم. »[1]

إذن من خلال عرض ما جاء في المعاجم أستنتج أن المعنى اللغوي لكلمة " مقامة " يأتي بمعان عدة منها موضع الإقامة ، والمجلس ، والسادة ، والجماعة من الناس، والخطبة أوالعظة ، والقصة القصيرة.

ب . المقامة اصطلاحا:

أما اصطلاحا فالمقامة الفنية هي: « قصة بطلها نموذج إنساني مكدّ و متسول بها راوٍ بطل وتقوم على حدث طريف ، مغزاه مفارقة أدبية أو مسالة دينية ، أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية ، وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية . » [2]

والمقامة في تعريف آخر« هي القصص القصيرة التي أودعها الكاتب ما شاء من فكرة أدبية أو فلسفية أوخطرة وجدانية أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون.»[3]

إذن من خلال التعريفين : يتضح أن المقامة فن من الفنون النثرية ، وهي تعتبر نموذجا للقصة القصيرة فيها بطل وراو وأحداث ، وتعالج موضوعا أدبيا أو دينيا أو موضوعا مسليا مضحكا ، أو مشهدا من مشاهد المجون ولكن تعالجه بأسلوب مصنوع مسجوع .

لكنّ الدكتور شوقي ضيف يرى غير ذلك ، فهو يخرج المقامة من دائرة الفن القصصي فيقول: « وليس في القصة عقدة ولا حبكة، وأكبر الظن أنّ بديع الزمان (ت 395هـ) لم يُعنَ بشيء من ذلك، فلم يكن يريد أن يؤلّف قصصاً، إنما كان يريد أن يسوق أحاديث لتلاميذه تعلمهم أساليب اللغة العربية وتقفهم على ألفاظها المختارة .»[4]

فالمقامة عنده لا تعدو أن تكون أكثر من حديث، لأنها لا تشمل على عناصر القصة الفنية من عقدة وحبكة إلاّ أنّ الباحثين توهّمُوها وظنّوها من القصص فيضيف قائلاً: «وكل ما في الأمر أنّ بديع الزمان حاول أن يجعلها مشوّقة فأجراها في شكل قصص. وعُمِّي على كثير من الباحثين في عصرنا فظنّوها ضرباً من القصص

---

[1] – المعجم الوسيط ، ص 803 .

[2] – فن المقامات بين المشرق والمغرب ، يوسف نور عوض ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1979 ، ص 08.

[3] – النثر الفني في القرن الرابع ، زكي مبارك ، مؤسسة هنداوي ، مصر ، القاهرة ،2013م ، ص 200.

[4] – المقامة، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، (د.ت)، ص 08.

وقارنوا بينها وبين القصة الحديثة، ووجدوا فيها نقصاً كثيراً، وهذا حمْلٌ لعمل بديع الزمان على معنى لم يقصد إليه.»[1]

فهو يرى أن بديع الزمان جاء بمقاماته على نسق القصة من أجل التشويق فقط ، وأنّ الباحثين لما جعلوا المقامة في مصافّ القصص فهم يحمّلونها أكثر من معناها الذي قصده بديع الزمان.

ويمكنني القول: إنّ المقامة ما دامت تتضمن بعضاً من عناصر القصة كالبطل والراوي والأحداث. كما أنّها تتضمن عنصر التشويق فهي ضرب من القصص، ولكن تنقصها الحبكة الفنية والعقدة فهي ليست قصة فنية متكاملة.

2 – النشأة:

يكاد يجمع الباحثون على أنّ بديع الزمان هو أول من أنشأ المقامات، ومَرجِع أولئك الباحثين ما قاله الحريري (ت 510هـ) في مطلع مقاماته: « فإنه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخَبَت مصابيحه، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان، وعلاّمة همذان رحمه الله تعالى وعزا إلى أبي الفتح الأسكندري نشاءتها وإلى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يُعرف ونكرة لا تتعرف. »[2]

وقوله أيضاً: «هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبّاق غايات، وصاحب آيات وأنّ المتصدّي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلاّ من فضالته ولا يسري ذلك المسرى إلاّ بدلالته .»[3]

فالحريري يرى أنّ بديع الزمان هو من ابتدع فن المقامة بمعناها الاصطلاحي دون منازع، وكل مَن يبدع في هذا الفن هو تبع له.

وتَبِعَه في ذلك أغلب المحدثين كالدكتور شوقي ضيف الذي يرى أنّ «بديع الزمان هو الذي مهّد الطريق وعبّده لظهور هذا الفن وخلفه الحريري... إذْ كان أوسع ثقافة وأحكم صياغة ، وأقوى تعبيراً، فإذا هو يصل بالفن إلى القمّة التي كانت تنتظره، وإذا مقاماته تصبح المعجزة الخارقة التي لا تُسْبق ولا تُلْحقُ على مَرّ العصور .»[4]

فشوقي ضيف يُبيّن أنّ بديع الزمان هو صاحب الفضل في السّبق لكنه انتصر للحريري في سعة الثقافة وإحكام الصياغة، وقوّة التعبير، بل يمكن القول: إنّه بالغ في مدحه والإطراء عليه حتى اعتبره المعجزة الخارقة التي لا سابق لها ولا لاحق. إذْ يمكن الحكم على ما سبق، لكن كيف نحكم على ما سيأتي دون أن نتبيّنه.

---

[1] – المقامة ، ص 09.

[2] – شرح مقامات الحريري ، دون ذكر اسم الشارح ، دار الفكر للطباعة والنشر، 1326هـ ، ص 04.

[3] – المرجع نفسه ، ص07.

[4] – المقامة ، ص 05.

وذهب إلى هذا الرأي الدكتور يوسف نور عوض أيضاً بقوله: «كان النموذج الفني الذي أنشأه بديع الزمان بداية لفيض زاخر من الفن المقامي أتى بعده، فقد استطاع أثر بديع الزمان أن يوجد في مجال النثر ديباجة جديدة تعدل في شرفها ديباجة القصيدة الجاهلية، ومن ثم اندفع الكُتّاب بعده. »[1]

لكن من الباحثين الذين تخصصوا في دراسة نشأة المقامة رأوا أنّه ثمّة أسماء أخرى تنافس بديع الزمان منهم الدكتور حسن عباس الذي يرى أنّهُ «لا اختلاف على أنّ نشأة المقامات الأدبية كانت مشرقية، أمّا الذي لا اتفاق عليه هو زمن هذه النشأة، وصاحب الفضل فيها، ومهما يكن من شأن الاختلاف حول منشئ المقامات فإنّه يدور حول ثلاثة أسماء كبيرة في تاريخ تراثنا الأدبي والفكري...وهم: بديع الزمان، وابن دريد (ت 321) وابن فارس (ت 390) .»[2]

وهناك من الدارسين من يخطِّئ نسبة البدء والسّبق لبديع الزمان كصاحب كتاب النثر الفني في القرن الرابع حيث يقول: « وكان المعروف أنّ بديع الزمان هو أول من أنشأ فن المقامات، ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان إلى هذا الفن... وفي رأيي أنّ الحريري الذي أذاع هذا الغلط ثم آمن الناس بقوله إذْ كان أشهر من أقبل الجمهور عليهم من كتاب المقامات... وقد وصلتُ إلى أنّ بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفَى سنة 321هـ.»[3]

وهذا الكلام كان قد ذكره زكي مبارك في أطروحة لنيل إجازة الدكتوراه من جامعة باريس، ونوقشت ونال هذه الإجازة،ثم ترجمت إلى العربية في كتابه النثر الفني في القرن الرابع، لكن ببعض التغيّرات الطفيفة، وقد دافع زكي مبارك عن هذه الفكرة بحماس شديد، لكن ردّ عليه الدكتور مصطفى الرافعي بمقال عنوانه: خطأ في إصلاح خطأ.[4]

مهما يكن من اختلاف بين الباحثين والدارسين، فإنّ تتويج الهمذاني بالسّبق، وفضل البدء لم يأت من فراغ، وأصبحت المقامات تُذْكَر إذا ذكر الهمذاني ، وإذا ذُكر الهمذاني تُذْكَر المقامات، لكن يظهر أنّ الهمذاني استوحى هذه الفكرة ممّن سبقوه كابن دريد، وابن فارس وغيرهما، ثم صقل هذه الفكرة ومهرها حتى أصبحت فناً متكاملاً أسماه فنّ المقامة حيث أراد له أن يكون فناً جديداً مختلفاً عن الفنون الأخرى التي وُجدت في عصره فلفت الأنظار، وخطف الأبصار.

---

[1] – نشأة المقامة في الأدب العربي، حسن عباس، تق: محمد مصطفى هدّارة، دار المعارف، (د.ت)، ص25.

[2] – فن المقامات بين المشرق والمغرب ، ص 10 .

[3] – النثر الفني في القرن الرابع ، ص 200.

[4] – ينظر: المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، نادر كاظم، دار الفارس، ط1 2003م ،ص207.

3- التطور:

لما ظهرت المقامة بشكلها المتكامل على يد بديع الزمان لم تقف عند هذا الحدّ ونجد هذا الفن يتطور تطوراً مذهلاً عبر العصور المختلفة. « ولقد وجد الكتاب والعلماء في هذا الفن أرضاً خصبة يصوّرون فيها الموقف الإنساني لعصورهم، كما وجدوا فيها مجالاً مناسباً يمتحنون فيه قدراتهم اللغوية والبلاغية.»[1]

أي إنّ المقامة بشكلها الفنّي القصصي المشوّق جذب الكثير من الأدباء والعلماء للخوض في غمارها لأنهم يجدونها أرضاً خصبة ومجالاً مناسباً للتعبير عن آرائهم وأفكارهم المشحونة بالثورة ضد ما يحدث في المجتمع لإبراز المواقف الإنسانية من جهة، وللتعبير عن قدراتهم اللغوية والبلاغية من جهة أخرى.

ولقد تطور هذا الفن بشكل ملفت للانتباه وسنذكر فيما يأتي بعض محطّات هذا التطور وبعض الشخصيات البارزة في هذا الفن.

في القرن الخامس ظهرت مقامات عبد الله بن محمد بن ناقيا (ت 485)، حاول فيها أن يقلّد الهمذاني ولكنها لم تصل إلى ما وصلت إليه مقامات الهمذاني، وجاءت في مجملها حول الكدية.[2]

وفي القرن السادس ظهر أبو القاسم الحريري، « وكأنّ القدر ادّخر الحريري لينهض بهذا الفن إلى القمّة التي كانت تنتظره، بحيث إننا لا نجد بعده من استطاع أن يحلّق معه في الأفق الذي صعد إليه فقد ظهر دائماً وبرز للعيان أنّ أجنحة الأدباء الذين حاولوا تقليده لم تكن من القوة والمتانة بحيث يستطيع أصحابها أن يرتفعوا إلى الأجواء العليا التي دوّم فيها وسبح في طبقاتها.»[3] ويرى أغلب الدارسين أنّ الحريري تفوّق على الهمذاني في إحكام الصياغة الأسلوبية والدرامية.

ومن الكُتّاب الذين ظهروا في هذا القرن السادس الإمام جار الله الزمخشري(ت 538هـ) وكانت مقاماته عبارة عن مواقف وعظية، وجاءت مقامات ابن الجوزي (ت 597هـ)، وهي شبيهة بمقامات الزمخشري ولكنها تفوقها في الأسلوب والصياغة

وظهر في القرن السابع الشاب الظريف(ت 688هـ)، ومقاماته أشبه بالقصائد الصوفية، وجاء بعده ابن الصيقل الجزري (ت 701هـ) الذي اتخذ أسلوباً وعراً لمقاماته وجاء بعده الكازوني (ت 697هـ) الذي عبر في مقاماته عن بغداد بعد أن خرّبها التتار.[4]

---

[1] - فن المقامات بين المشرق والمغرب، ص 137.

[2] - ينظر: المرجع نفسه ، ص 141.

[3] - المقامة، ص 76.

[4] - ينظر: فن المقامات بين المشرق والمغرب ، ص 143.

وفي القرن الثامن ظهرت مقامات ابن الصفدي (ت 763هـ) قدّم فيها العديد من المعلومات الدينية والفقهية فقد نحا فيها منحى تعليمياً. وظهر أيضاً ابن الوردي (ت 749هـ)، وقد عالج فيها مسائل فكرية وقضايا عامة، وظهرت أيضاً في هذا القرن مقامات القلقشندي (ت 821هـ) الذي أراد أن يعلّم من خلالها مسائل الكتابة والإنشاء.[1]

وفي القرن التاسع ظهرت مقامات القواس (ت 890 هـ) وقد اعتمدت على عنصر القصة إلاّ أنها لم تشمل على موضوع محدّد. وفي القرن العاشر ظهرت مقامات جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) وهي مقامات لها طابع المناظرة و ذات طبيعة أخلاقية.[2]

وفي القرن الحادي عشر ظهر شهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـ) و مقاماته تميل إلى السهولة. وفي القرن الثاني عشر ظهرتْ طائفة من كتّاب المقامات منهم : اللقيمي (ت 1173هـ) صاحب المقامة الرضوانية والتي كتبها بهدف المدح. ونجد في هذا القرن أيضاً الكريدي(ت 1197 هـ)، وغير هؤلاء كثير.[3]

كل أولئك الذين ذُكروا في فن المقامة من المشارقة ، وقد احتفى المغاربة والأندلسيون احتفاء المشارقة بفن المقامة « ولعل أول من تأثر بمقامات البديع من أهل الأندلس ابن شهيد (ت 426هـ) في رسالته التوابع والزوابع فهذا نقلنا إلى أودية الجن يلقي فيها توابع الشعراء والكتاب من أهل عصره وسابقيه حيث تدور بينهم محاورات ومساجلات استطاع من خلالها أن يبرّز كثيراً من آرائه الأدبية، وأن يسخر من أدباء عصره سخرية لاذعة.»[4]

ومن هؤلاء المقاميين أيضاً محمد بن سعيد بن شرف القيرواني (ت 460 هـ)، وأبو محمد بن مالك القرطبي (ت460 هـ) والفتح بن خاقان (ت528 هـ) وغير هؤلاء، لكن بصفة عامة معظم هؤلاء الذين كتبوا في هذا الفن كتبوا مقامة أو مقامتين، وكانت أشبه بالأحاديث الوصفية، أو المشاهدات العابرة في أدب الرحلة.[5]

« وما تزال اللغة العربية تستقبل هذه الألوان المختلفة من المقامات حتى يخرج العصر الحديث فيحاول غير واحد تقليد الحريري. ومن أشهر من قلّدوه في القرن الماضي، الشيخ حسن العطار في مصر، والألوسي في العراق وفارس الشدياق وناصيف اليازجي في الشام. »[6]

---

[1] – ينظر: فن المقامات بين المشرق والمغرب ، ص 144.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 144.

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 145.

[4] – نشأة المقامة، ص 93.

[5] – ينظر: فن المقامات بين المشرق والمغرب، ص 273.

[6] – المقامة، ص 78.

إذن لم يظهر كُتَّاب المقامة في العصور الغابرة الأولى فقط، وإنما امتدّ ظهورهم إلى العصر الحديث وهذا لولوع الكتاب والأدباء بهذا النوع من الفن الأدبي الراقي.

ثالثا: ترجمة بديع الزمان الهمذاني:

بديع الزمان هذا لقب عُرف به لضلاعته في العربية، وتمكنّه من أساليبها، وتفنّنه فيها، واسمه الحقيقي هو أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد الهمذاني ، وكنيته :أبو الفضل وهو: « صاحب الرسائل الرائعة، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه، واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضله، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج، وهو أحد الفضلاء الفصحاء. »[1]

ولد عام ثمان وخمسين وثلاثمائة للهجرة بهمذان، انتقل إلى هراة ، ومنها إلى نيسابور ولم تذع شهرته إلاّ عندما لقي الخوارزمي وساجله، وعندما توفي الخوارزمي خلا له الجو فلم يترك بلدة من بلدان خرسان وسجستان إلا زارها، ولا أميراً ولا ملكاً بها إلا وفاز بجوائزه وكان شاعراً، ولكنّه برع في النثر أكثر من الشعر، وكان يضربُ به المثل في قوة الحفظ لأن أغلب مقاماته كانت مرتجله.[2]

وقد أفرد له صاحب كتاب يتيمة الدهر باباً كاملاً أسماه: في ذكر أبي الفضل الهمذاني وحاله ووصفه ومحاسن نثره ونظمه. فقال عنه: «معجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وعزة العصر، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في ظُرف النثر ومُلَحِه، وغُرر النظم ونكته، ولم ير و لم يروا أنّ أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه، وجاء بمثل إعجازه وسحره، فإنّه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب».[3]

ومن العجائب والغرائب التي ذكرها عنه أنه كانت تُنشَدُ له القصيدة التي تُجاوز الخمسين بيتا ولم يسمعها قَطّ فيحفظها ويؤدّيها من أوّلها إلى آخرها دون تصحيف ولا تحريف، وأنّه كان ينظر في أوراق عديدة من كتاب لم يره نظرة خاطفة، ثم يسردها عن ظهر قلب. ويُقْتَرح عليه نظم القصيدة في معنى من المعاني البديعة فيفرغ منها في وقتها وساعتها.[4]

---

[1] – وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1398هـ، 1978م ص127.

[2] – ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002، ج1، ص 115.

[3] – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، تح: مفيد محمد قميحة، ط1، 1403هـ/1983م، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ج4 ، ص 293.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

« وتوفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة... ويقال جُنَّ في آخر عُمرهِ إلى أن مات .»[1]

وقيل مات مسموما بمدينة هراة، وقيل مات من سكتة وعُجِّل دفنه فأفاق في قبره ولكنه مات من هول القبر- رحمه الله تعالى-. وترك ديوانا شعريا وثلاثا وثلاثين ومائتي رسالة.[2]

من خلال ما سبق عرضه في مدخل هذا البحث نكون قد تعرّفنا على مفهوم المنهج التعليمي ، ومفهوم المقامة وكيف نشأت وتطوّرت في أدبنا العربي ، وتعرّفنا على بديع الزمان الهمذاني ؛ والتعريف بالمصطلحات الواردة في العنوان يفتح المجال فسيحا لطلب معرفة المزيد عن المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني وهذا ما سأفصّل القول فيه في فَصْلَيْ هذا البحث.

[1] - معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي ، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1 ، 1993، ج1 ، ص 235.

[2] - ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص 129. و ينظر الأعلام: ج1، ص 115.

الفصل الأول : المنهج التعليمي عند القدماء.

المبحث الأول : أسس العملية التعليمية عند القدماء.

المبحث الثاني : أهداف العملية التعليمية عند القدماء.

المبحث الثالث : شروط ومقومات التعليم الجيد.

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1] ويقول أيضا : ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[2] ويقول أيضا: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴾[3] ويقول أيضا :﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَـٰتٖۚ ﴾[4]

ويقول صلى الله عليه و آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً « إِنَّ مَثَل مَا بعَثني اللَّه بِهِ منَ الْهُدَى والْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضاً فكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ، قبِلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس فَشَربُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعَوا. وأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّه وَنَفَعَه بمَا بعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً و لَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ به. »[5]

من خلال هذه الآيات الكريمات، وهذا الحديث النبوي الشريف نتبيّن قيمة العلم وفضله ، ومكانته وعلو شأنه ورفعة منزلته وقَدْره، ولما كان كذلك كان لزاما على كل فرد من أفراد المجتمع أن ينهل ويغترف من هذا العلم فكلما تعلّم الإنسان ازدادت خشيته من الله، لأنه يزداد فهما لآيات الله، فالذين يعلمون هم أولوا الدرجات الرفيعة، وهم أصحاب الحصون المنيعة.

ومن أجل ذلك حظيت العملية التعليمية بعامّة والمنهج التعليمي بخاصّة بعناية الباحثين والدارسين أيّما عناية قديما وحديثاً، ولأنّ موضوع البحث حول مقامات الهمذاني وما تتضمنه من منهج تعليمي، و الهمذاني من العلماء القدماء، فسنخصّ هذا الفصل الأول للمنهج التعليمي عند القدماء من خلال التعرف على أسس العملية التعليمية عندهم وأهدافها، والتعرف على شروط ومقوّمات التعليم الجيّد. وذلك من خلال المباحث الآتية:

---

[1] – سورة النحل، الآية :[43]

[2] – سورة العنكبوت، الآية: [49]

[3] – سورة فاطر ، الآية: [28]

[4] – سورة المجادلة، الآية: [11]

[5] – صحيح البخاري وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، البخاري، ترتيب وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم: أحمد محمد شاكر، دار ابن حرم، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ص20.

المبحث الأول: أسس العملية التعليمية عند القدماء:

إنّ العملية التعليمية هي عملية تواصلية دون شك، وكل عملية تواصلية في أبسط صورها وأشكالها تقوم على ثلاثة ركائز وهي: المرْسِل و المرْسَل إليه والرسالة أو بتعبير آخر في العملية التعليمية: المعلم، والمتعلِّم ، والمحتوى التعليمي والمنهج والبيئة والوسائل والأهداف.

1. المُعَلِّم:

كان القدماء يوكلون إلى المعلّم مَهمّة التعليم والتربية والتأديب ، والمعلِّم هو الركن الأساسي في العملية التعليمية فمن دونه لا تتم ولا تُتَصوّر أصلاً. وقد تحدّث عنه العلماء وكثيراً لاسيما ما يتعلق بآدابه وأخلاقه وطريقة تعامله مع متعلِّميه.

أ – مفهومه:

المعلّم هو من « يتّخذ مهنة التعليم »[1] ، و« هو القائم بدور التربيّة والتّعليم أو المرشد للتلميذ إلى التعليم الذاتي.»[2] وهذا يدلّ على أنّ المعلّم يساعد المتعلّم على التعلّم ، ليصبح قادرا على التعلّم بنفسه.

وأطلق لفظ المعلّم على كلّ ماهر خبير في صَنعته سواء أكانت صنعة علميّة تعليميّة ، أم حِرفيّة ، ثم اقتصر على كل مدرس تخصّص في التعليم ، وتُطلق عليه عدّة أسماء منها : العالم ، والشيخ ، والفقيه ، والأستاذ والمدرّس ، والمؤدّب ، والمفيد ، والمعيد ، والمملي ، والمفتي[3].

ب _ آدابه :

ويمكن القول: إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو أوّل من حدّد لنا تلك الآداب والقيم الأخلاقية من خلال الأحاديث النبوية، ومن خلال تبيان ما جاء في القرآن الكريم، ومن بعده الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لأنّ مرجعهم القرآن والسنّة.

---

1 – المعجم الوسيط ، ص 655 .

2 – التوجيه في تدريس العربيّة ، ص13 .

3 – ينظر : آداب العالم والمتعلّم عند المفكرين المسلمين من منتصف القرن الثاني الهجري وحتّى نهاية القرن السابع ، يحي حسين علي مراد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص13 .

ولعلَّ أول عالم عربي مسلم كتب للمعلِّمين، وتحدّث عنهم وأعطاهم نموذجاً علمياً عملياً هو الفقيه والمربي المغربي القيرواني محمد بن سحنون (ت 227هـ) في كتابه آداب المعلمين [1] ولقد تحدّث كثيراً عن معلِّم الصبيان وتحدث بخاصة عن معلم القرآن، وما يقال عن معلّم القرآن يمكن أن يقال عن معلِّم العلوم الأخرى .

ولقد قنَّن الإمام القابسي علي بن خلف أبو الحسن (ت 403هـ) عدة قوانين اشترطها في المعلم ومن ذلك أن يكون يحسن التعليم، وإن لم يكن يحسنه فقد غرّر بالمتعلم، وهو بذلك يستوجب التأديب لتفريطه، أو لغروره بتعليمه وهو لا يحسن ذلك إلاّ إذا كان المتعلم يتَّصِفُ بالبله[2].

ورأى أن المعلِّم الذي يعاقب بالضرب ويتعدّى الضَّرْبة، ويضرب وهو غضبان إنما هو مُعَلِّم متجافٍ وجاه ل ولا يكون الضرب بعصا ولا لوح ويتجنب ضرب الرأس والوجه ويُضرَب المتعلّم لخطأ يصلح أن يُضْرَب عليه[3]

ج ـ وظائفه :

ويرى محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) وهو من متكلّمي الإسلام أنّه من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً، وسنّ لذلك وظائف وهي[4]:

الوظيفة الأولى: الشفقة على المتعلمين وأن يتعامل معهم كما يتعامل الوالد مع ولده، ويرى أن حق المعلم أعظم من حق الوالد؛ لأن الوالد سب الحياة الدنيا الفانية، والمعلم سبب الآخرة الباقية.

الوظيفة الثانية: أن يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم،فيعلِّم العلم تقُّربا لله لا لغرض دنيوي فالغزالي يعيب على أولئك المعلمين الذين يعلّمون العلم للمال والسلطان والجاه.

الوظيفة الثالثة: أن ينصح للمتعلم، ولا يترك شيئا من ذلك، وألا يشتغل بعلم خفي قبل الجليّ

---

1 – ينظر: آداب المعلمين ، محمد بن سحنون ، تح: حسن حسني عبد الوهاب ، مكتبة الفقه المالكي، تونس 1329هـ/1972هـ .

2 – ينظر: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، القابسي، تح: أحمد خالد ، الشركة التونسية للتوزيع ط1، 1986م ، ص150

3 – ينظر: المرجع نفسه ، ص170

4 – ينظر : إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان1426هـ/2005م،ص 68.

الوظيفة الرابعة: ويراها من دقائق صناعة التعليم وهي الزجر عن سوء الأخلاق بالتعريض والتلميح، لا بالتجريح والتصريح، وبالرحمة لا بالتوبيخ.

الوظيفة الخامسة:ألا يقبّح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه، فمثلا معلم اللغة لا يقبِّح علم الفقه، ومعلم الفقه لا يقبح علم التفسير وهكذا.فعلى المعلم أن يوسع على المتعلم طريق التعلم.

الوظيفة السادسة: أن يعطي للمتعلم بقدر فهمه وعقله، حتى لا يختلط عليه الأمر، وينفر من ذلك العلم.فحفظ العلم أولى من إعطائه لمن يفسده ويضره.

الوظيفة السابعة: يلقي الجليّ اللائق من العلوم للمتعلم القاصر، ولا يذكر أن وراء هذا تدقيقا لأن أشد الناس حمقاً وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله.

الوظيفة الثامنة: أن يكون المعلم عاملاً بعلمه؛ فلا يكذّب قولُه فعلَه، فيرى أن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وإذا خالف العمل العلم منع الرشد .

وكان الإمام الغزالي- رحم الله تعالى- يستند على كل وظيفة يذكرها ويستدل عليها بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة والتابعين، ثم نجده يستدل بأدلة منطقية يخاطب بها العقل والروح، وهذا يُنمّ عن فهم عميق لجوهر الإنسان ومعدنه، وفطرته وطبيعته، وعلاقته مع إخوانه ومجتمعه. والقرآن والسنة مقدّمان عنده قبل كل شيء.

وكانت آراء الإمام الغزالي مرجعا للعلامة الزرنوجي (ت 571هـ) بنى عليها رسالته: تعليم المتعلم طريق التعلم وهي رسالة مختصرة في ألفاظها غزيرة في معانيها، جمة الفوائد لكن أكثر الحديث عن المتعلم وسنتطرق لذلك عند الحديث عن المتعلّم.

ومن روَّاد القدماء الذين تحدثوا عن المعلِّم والعملية التعليمية العلَّامة عبد الرحمان بن خلدون(ت 808هـ) الذي حظي بكثير من الدراسات، وذاع صيته في الآفاق بفضل شهرة كتابه العبر المشهور بمقدمة ابن خلدون، وهو لم يقلّد من سبقوه وإنّما كانت له فلسفته الخاصة في العملية التعليمية وسنورد بعض ما جاء في مقدمته في شأن المعلم.

يرى ابن خلدون أن الصنائع لابُدَّ لها من المعَلِّم، لأنَّ الصناعة عنده هي ملكة في أمر عملي فكري ، والعملي هو الجسمي في المحسوس، الذي يكون نقله بالمباشر أوعب لها وأكمل « وعلى قدر جودة التعليم، وملكة المعلّم يكون حذق المتعلّم في الصناعة، وحصول ملكته .»[1] أي إنّ ذكاء المتعلم ونباهته وفطنته، إنما يكون ناتجا عن مدى فاعلية التعلّم وذكاء المعلّم ونباهته وفطنته.

ويركّز على أنَّ المعلِّم تحصل له ملكة، وإذا لم تحصل له الملكة لا يكون حاذقا في الفن الذي يتناوله، وهذه الملكة تكون في الإحاطة بمبادئ العلم وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، والافتقار إلى هذه الملكة أدَّى إلى الافتقار إلى مشاهير المعلمين في كل جيل من الأجيال[2].

ومن خلال ما سرد ه من أقوال حول المعَلِّم أجد أنَّه حتَّى يقوم بعمله على أكمل وجه ويؤدي نشاطه في أحسن حال،لابدَّ أن يكون مزوَّدا بجملة من المعايير الأخلاقية الدينية ، والعلمية الثقافية ، والنفسية الاجتماعية فمن المعايير الأخلاقية الدينية: أن يكون صبورا متواضعا رحيما بمتعلّميه، يبتغي وجه الله ورضاه فيما يعلِّمه، ولا يبغي جاها ولا سلطانا ولا منصبا.

ومن المعايير العلمية الثقافية اللازمة له أن يكون متمكِّناً من مادته العلمية، متسلّحاً بالمعارف العصرية الحديثة التي يحتاج إليها في تعليمه . ومن المعايير النفسية الاجتماعية عليه أن يكون مدركاً لأحوال من يعلمهم، ويقدّر ظروفهم الاجتماعية، وأحوالهم النفسية وقدراتهم العقلية فلا يكلّفهم أكبر من طاقتهم، ولا يعيّرهم بما لا يدركونه.

2- **المتعلم**:

إنّ المتعلّم هو المقصود بالعملية التعليمية، وإنْ كان القدماء اهتموا بالمعلِّم، فقد اهتموا أكثر بالمتعلِّم وأفردوا له مصنَّفات تتعلّق به، وما ينبغي عليه فعله ، وكيفية تلقيه للعلم وجملة الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها.

[1] – مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار ابن الجوزي، مصر، القاهرة،ط1431،1هـ/2010م،ص332.

[2] – ينظر:المرجع نفسه ، ص365.

أ – تعريفه :

كلمة متعلّم كلمة واسعة تُطلَق على الصغير والكبير ، وعلى كلّ إنسان راغب في اكتساب العلم والاستمرار في التحصيل . ومن الألقاب التي سُمِّي بها : التلميذ ، وطالب العلم ، والمتفقّه ، والدارس ، والمستملي ، والمريد والمستفتي ، والمتأدِّب ، والمستفيد[1] .

ب – آدابه :

رأى العلامة الزرنوجي جملة من الآداب ينبغي أن يتحلّى بها طالب العلم وهي[2] :

أولا : أن ينوي المتعلم نيّة طلب العلم زمان التعلّم، وينوي طلب العلم رضاء الله، وإزالة الجهل عن نفسه وسائر الجهال، وإحياء دين الإسلام لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بالعلم.

ثانيا : أن يتعلّم العلم بجهد كثير، فلا يصرفه إلى الدنيا.

ثالثا : أن يكون متواضعاً والتواضع عنده يكون بين التكبر والذلّة.

رابعا : أن يختار الأعلم والأورع من الأساتذة.

خامسا : أن يشاور في كل أمر.

سادسا : أن يصبر على المحن والبليّات.

سابعا : أن يختار صاحب الطبع المستقيم وينفر من الكسلان صاحب الطبع اللئيم.

ثامنا : عليه تعظيم الأستاذ وتوقيره.

تاسعا : أن يحترز عن الأخلاق الذميمة.

عاشرا : أن يتحلّى بالجدّ والمواظبة والملازمة .

---

1 – ينظر : آداب العالم والمتعلّم عند المفكرين المسلمين ، ص19 .

2 – ينظر: تعليم المتعلم طريق التعلم، برهان الإسلام الزرنوجي، تح: مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1 1401هـ/1981م، ص 6.

الحادي عشر : ألاّ يكتب شيئاً لا ينفعه لأنّ ذلك يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيع الوقت.

الثاني عشر : أن يذاكر ويناظر ويطارح بإنصاف وتأمل لا بغضب وشغب.

وختم الزرنوجي ما ينبغي للمتعلم بأمور لابدّ منها كالتوكل على الله، والانشغال بالخيرات، وتقليل العلائق الدنيويّة، وتحمّل مشقّة السفر، والتورّع عن الشبع وكثرة النوم والكلام فيما لا ينفع، وعدم التهاون بالآداب والسنن، وكثرة الصلاة والدعاء.[1]

ونجد تفصيلاً مطَوّلاً لآداب المتعلم في كتاب: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم للإمام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت 733هـ) ، وقد خصّ الباب الثالث لآداب المتعلم وقسّمه إلى ثلاثة فصول: الأوّل: في آدابه في نفسه كطهارة القلب من الغش والصفات الذميمة، والثاني: في آدابه مع شيخه وما يجب عليه من عظيم حرمته كاختيار الشيخ الأنفع، والثالث: في آدابه في دروسه وقراءته في الحلقة وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة، كالابتداء بالأهم ثم المهم[2].

وقد فصّل الشيخ ابن جماعة في هذا الباب تفصيلا كثيراً ولكنّه في مجمله لم يخرج عن ما جاء به سابقوه بل إنه كان يشير أحياناً إلى أخذه عن الشيخ الغزالي بعبارات كعدّ الغزالي وغيره ...، وغيرها من العبارات، إلاّ أنّه استزاد وفصّل فيما جاؤوا به.

ج – وظائفه :

مثل ما حدّد صاحب كتاب الإحياء وظائف المعلّم حدّد وظائف للمتعلم وهي وظائف عشراً وهي كالآتي[3] :

الوظيفة الأولى: تطهير النفس من خلال الأخلاق الذميمة، والأوصاف المشينة ليصفو القلب ويكون وعاء لائقاً لحفظ وحمل العلم.

---

[1] – ينظر : تعليم المتعلم طريق التعلم، ص 113.

[2] – ينظر : تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ،بدر الدين بن جماعة ، تح: محمد بن مهدي العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت لبنان ، 1433 هـ / 2012 م ، ص 85 .

[3] _ ينظر: إحياء علوم الدين، ص 61.

الوظيفة الثانية: عدم الانشغال بالدنيا والبعد عن الأهل والوطن، لأنّ العلاقات شاغلة وصارفة عن العلم.

الوظيفة الثالثة: ألا يتكبر على العلم أو يتعالى ويتأمّر على المعلم، بل عليه الإذعان لنصائحه ويتواضع له، ويرجو الثواب بخدمته؛ فالعلم لا ينال إلاّ بالتواضع وإلقاء السمع.

الوظيفة الرابعة : أن يحترز في بداية العلم عن الإصغاء إلى اختلاف الناس، لأنّ ذلك مدعاة للحيرة والدهشة وعليه أن يتبع ويتقن الطريق الحميدة المرضية عند أستاذه.

الوظيفة الخامسة: أن ينظر في كل فنون العلم المحمودة، نظراً يطلع به على مقصده وغايته لأنّ العلوم متكاملة فيما بينها، وإنْ أسعفه العمر تبخر فيها.

الوظيفة السادسة: ألاّ يخوض في فن من الفنون دفعة واحدة بل يراعي الترتيب والبدء بالأهم، وأن يأخذ من كل علم أحسنه.

الوظيفة السابعة: ألا يخوض في فنّ حتى يستوفي الفنّ الذي قبله لأنّ العلوم مرتبة ترتيبا ضرورياً، وبعضها يفضي إلى بعض، ألاّ يحكم على علم بالفساد لاختلافه مع أصحابه.

الوظيفة الثامنة: أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ويراد بذلك أمران ؛ الأول: شرف الثمرة، والآخر: وثاقة الدليل وقوّته.

الوظيفة التاسعة: أن يكون قصد المتعلم في الحال تحليّة باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المآل القرب من الله سبحانه وتعالى، والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقرّبين.

الوظيفة العاشرة: أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد، كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره.

وبالعودة إلى مجمل ما ذكره القدماء حول المتعلم نجدهم يركّزون كثيراً على ضرورة تحلّيه بالأخلاق الحميدة، وتخلّيه عن الصفات المذمومة في نفسه ومع معلّمه، فالعلم إذا التقى مع مكارم الأخلاق، حصل النّفع وزادت الفائدة، وعمّت بركة المولى عزّ وجل.

3 ـ المحتوى التعليمي :

إنّ المحتوى من المفاهيم التي تطوّرت من القديم إلى الحديث، وكان يشمل المعرفة التي تعطى للمتعلم بوجه عام. والمحتوى قديماً كان يعبّر عن « المعرفة التي يراد تحصيلها والتي تأخذ شكل المعلومات والمفاهيم والمبادئ والأفكار. والتركيز هنا على المعرفة التي يتم نقلها من المربين إلى المتعلمين.»[1] وهو: «يشمل المعرفة المنظمة المتراكمة عبر التاريخ من الخبرات الإنسانية، ويشمل المعرفة التي هي نتاجات الخبرات البشرية اليومية التي لم تنظم بعد في حقل معرفي معين.»[2]

إذن المحتوى التعليمي في القديم كان يركّز بالدرجة الأولى على المعارف، وكان يتضمّن المبادئ والقيم، وكل ما يتعلّمه المتعلِّم من المعلِّم.

وكان القدماء يركّزون كثيراً على أن يكون أول ما يتعلّمه الصبيّ القرآن الكريم، فهم كانوا يحفلون به كثيراً وبعلومه، ومن ذلك قول الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله بن سينا (ت 438هـ) « فإذا اشتدّت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهيّأ للتلقين ووعي سمعه أخذ في تعلم القرآن، وصُوّر له حروف الهجاء ، ولقّن معالم الدين وينبغي أن يروّى الصبي الرّجز ثم القصيدة، فإنّ رواية الزجر أسهل وحفظه أمكن.»[3]

ويبدو أنّ ما ذكره الشيخ الرئيس يصحّ منهجاً لتعليم الأطفال الصغار في الابتدائي، لأن الطفل في هذه المرحلة يكون شديد التقليد، كثير الحفظ، وإذا حفظ النص القرآني يُغْنِيه عن تعلّم الكثير، كما أشار إلى تعليم الشعر ليتعوّد الطفل على فصيح الكلام، كما أنّ الشعر برنّته ووزنه فيه متعة وتسلية فلا يملّ الطفل من التعلّم.

ومن القدماء الذين اهتموا بالمحتوى التعليمي ومنهجه العلامة ابن خلدون الذي عُدّ رائداً في شتى المجالات، وأعطى مقدّمات منهجية لكافة العلوم، وكان منهجه نابعاً من القرآن والسنة لذا ركزّ على البدء في التعليم بالقرآن قائلاً : « اعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدّين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث

[1] – الشامل في المنهاج وطرائق التعليم والتعلم الحديثة، شادية عبد الحليم، صلاح أحمد فؤاد صلاح، مركز ديبونو لتعليم التفكير عمان، الأردن، ط1، 2016م ، ص125.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – كتاب السياسة، ابن سينا، تقديم: على محمد إسبر، بدايا للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2007م ، ص 84.

وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أنّ تعليم الصغر أشدّ رسوخاً وهو أصل لما بعده ، لأنّ السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبني عليه».[1]

يبيّن العلّامة ابن خلدون أنّ القرآن هو أصل الملكات، وعليه تُبنى، ثم يوضّح لنا منهج وطريقة تعليم الصبيان، ووضّح أنّ أهل المغرب كانوا يعلّمون القرآن أوّلاً دون خلط العلوم الأخرى، وأهل الأندلس كانوا يعلمون القرآن مع العلوم الأخرى، وأهل إفريقية كانوا يخلطونه، بالحديث، وهو يستحسن من يؤخر تعليم القرآن حتى يتمكن الصبي من إتقان اللغة والحساب فذلك مدعاة لفهم القرآن. لكنّه يرى أنَّ العوائد اقتضت تقديم القرآن إيثارا للتبرّك والثواب، ومخافة ما يعرض للولد من جنون الصِّبا[2].

4 ـ المنهج :

سأركّز هنا على المنهج الخلدوني لأنّ صاحبه – وبدون منازع – تحدّث كثيرا عن العلوم وعن التعليم في مقدمته ، بل إنّ المتصفّح لها يجد ثلثها حول العلوم وحول التعليم ومنهجه وطرقه وقضاياه، والكثير من المحْدَثين اليوم هم تبع له . ونجده يقترح طريقة منهجية في تعليم العلوم للمتعلمين تعتمد على ما يأتي:

أ – التدرّج :

وفي ذلك يقول: « اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلِّمين إنّما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداد لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن.»[3]

يشير ابن خلدون هنا إلى طريقة التدريج، بحيث لا تلقى العلوم دفعة واحدة للمتعلم وإنّما يكون ذلك على سبيل التج زئ بدءاً بأصول الفن الأساسية لأيّ علم، وهو يركّز على ضرورة مراعاة قدرات المتعلم العقلية والنفسية.

[1] – مقدمة ابن خلدون، ص 490.
[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 490.
[3] – المرجع نفسه ، ص 486.

« وهكذا يكون التدرج بالعِلْم مع الطالب متعلقاً بالطالب واستعداداته من جهة وبالموضوع ومتطلباته من جهة أخرى وفي آن واحد. فالطّالب له مقدرات واستعدادات معينة على المعلّم أن يَعِيَها ويحسن التعامل معها كما أنّ للموضوع أو للفن جزئيات واختلافات على المعلم أن يراعيها أيضاً ويتدرج في عرضها وتقديمها للطالب.»[1]

« ففي هذه المرحلة لا يمكن للمعلّم أن يقرّب المحتوى التعليمي على سبيل الإجمال والتعميم إذا لم يراع قوّة عقل المتعلم . إنّ استعمال ابن خلدون قوّة عقله واستعداده لقبول مايو رد عليه يغري بالقول : إنّ ابن خلدون كان يشترط في المعلم أن يكون على بيّنة من النموّ العقلي والنفسي للمتعلم.»[2]

إن الباحث يصاب بالذهول ويكاد يطيش عقله من الإعجاب لما توصّل إليه العلامة ابن خلدون وللمصطلحات الدقيقة التي يستخدمها ، فقد استخدم مصطلح" قوة عقله" ومصطلح "الاستعداد" وهذه من مصطلحات علم النفس التربوي اليوم .

فالتعليم المفيد عند ابن خلدون هو: « ما يتدرّج من السهل إلى العويص، من العام إلى الخاص ، من المحسوس إلى المجرد ، من البسيط إلى المركب مع حرصه على مبدأ التكرار» [3] وهذا لأنّ المتعلم يكون خالي الذهن فيبدأ بالسهل ويتدرّج في التعلّم حتى يصل إلى الصعب، ولا يبدأ بالصعب.

وهذا ما جعل ابن خلدون ينتقد بعض الطرق العقيمة التي سادت في عصره بقوله: « وقد شهدنا كثيرا من المعلّمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضرون للمتعلم في أوّل تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلّها ، ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ، ويكلّفونه وعي ذلك وتحصيله ، فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعدّ لفهمها.»[4]

وهنا يشير ابن خلدون إلى عدم الخلط بين مبادئ العلوم وغاياتها ، أو بتغيير آخر بين المحتوى التعليمي وبين الأهداف التعليمية ، الأمر الذي لا يدركه المتعلّم ، ويكون غير مستعد للفهم ، لأن المتعلّم عندما يلقى له العلم

---

[1]- الفكر التربوي عند ابن خلدون، وابن الأزرق، عبد الأمير شمس الدين، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1984م ص 83.

2 - التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمته العبر ، أحميدة العوني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص42.

3 - المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

[4] - مقدمة ابن خلدون ، ص 487.

لأول وهلة يكون عاجزاً عن الفهم، وهذا يؤدّي إلى التعب الذهني للمتعلّم ومنه إلى التعب النفسي والإرهاق الجسدي وكل هذا يسبّب فشل العملية التعليميّة التعلّميّة .

وهذا يدل على أنّ ابن خلدون كان : « يدرك تماماً إن الفكر الإنساني ينمو ويتطور تدريجيّاً ، ويتأثّر بما يكسبه من معلومات ومهارات وما يعرض له من خبرات ، هذه جميعها تتحكّم كمّاً وكيفاً في سلامة هذا النموّ سلباً وإيجاباً لذا لزم أن تراعى في المتعلِّم تلك الطبيعة التي تتهيّأ وتزداد استعداداً للفهم والقبول بالتدريج. »[1]

لأنّ الإنسان كلٌّ متكامل في خَلْقه وخليقته ، فهو لا يتعلّم العلم دفعة واحدة وإنما شيئاً فشيئاً ، فكلّما تعلّم بعضا من العلم ازداد عقله وشغفه للمزيد ، فيزداد تعمّقاً ومعرفة في ذلك الفنّ الذي يتعلّمه ، ومنه يحصل له الاستعداد ويتمّ لقبول ذلك العلم جملة وتفصيلاً وهذا هو الأثر النفسي الإيجابي الذي يتركه التدرّج.

ب – التكرار :

وهذه الصفة تلي التدرّج وناتجة عنه ، فعندما يحصل للمتعلم الملكات بواسطة التدرّج ، ينمّي هذه الملكة بالتكرار ، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنّما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له، و يتيسّر عليه .»[2] وهنا أدرك ابن خلدون أنّ آفة العلم النسيان ؛ وللقضاء على هذه الآفة لابدّ من التكرار إلا من وهَبهم الله قدرة من الفطنة والذكاء وقوة الحفظ.

ووضّح كيف تحدُث هذه التكرارات بالتدرّج ، مُشكِّلة الملكات لدى المتعلّم عبر ثلاث مراحل ، في الأولى يُعطَى للمتعلّم أصول الفن على الإجمال ، ثم في الثانية : تُشرَح له ويُتَعمق فيها ، وفي الأخير يستولي المتعلم على ذلك الفن بكل ما فيه ، ويدرج إلى أموره الصعبة والمستغلقة ، ويتعمّق فيه أكثر « ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا م بهماً ولا منغلقاً إلا وضّحه ، وفَتَح مقفلة فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته » [3] ، وهكذا يتعلّم المتعلّم الفنّ الواحد من أبسط ما فيه إلى أن يُنهِيه .

ج – التتابع :

1 – الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ، ص84.

2 – مقدمة ابن خلدون، ص 487.

3 – المرجع نفسه ، ص487 .

ويكون بعد التدّرج والتكرار، لأن المتعلّم يكون قد ربّى ملكته بالتدرّج والتكرار ويريد أن يحافظ على هذه الملكة ، « وتربية الملكة عند الإنسان تتطلب الاحتفاظ بما اكتسبه ليكون قادرا على استحضاره عند الحاجة وهذا يحتاج إلى زمن ، فالزمن عامل سلبي في الذاكرة فيعالج هذه السلبية بعدم تفريق المجالس ...لأنّه ذريعة للنسيان.»[1]

وهنا يكون ابن خلدون قد انتبه إلى مسألة أخرى مهمة وهي : «تتابع التعليم إذ رأى أنّه على المعلّم أن يعلّم المتعلّم تعليماً متتابعاً متواصلاً تجنّباً للنسيان ويقصد بالتّتابع أن يكون زمن التعليم متواصلاً لا يقطع بتغيبات طويلة لأنّ هذا الانقطاع في الزمن يؤدي إلى انقطاع سلسة التعلُّم. »[2]

ويضيف ابن خلدون دليلاً على ذلك بقوله : « وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عن الفكرة مجانبة للنسيان كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة ، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه.»[3]

وهنا نلاحظ مدى الأهمية التي أولاها ابن خلدون للمتعلم بحيث اعتبره « ملكة تنمو وتزداد استعداداً وقابلية بالتدرج، عن طريق التفهّم ، واكتساب طرق التفكير وإعمال الذهن ، بل إنّ تلك الملكة الذهنية ذات طبيعة لها قابلية النمو والاتساع.»[4]

إذن لتنمو هذه الملكة لابدّ من التدرج في التعليم، وهذا التدرج يؤدي إلى التكرار ، وهما معا يعزّزان بتتابع التعليم واستمراريته وعدم انقطاع مجالسه.

د ـ عدم الخلط بين العلوم :

1 – الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ،ص 85

2 – التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر ، ص45

3 – مقدمة ابن خلدون ، ص 487

4 – الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ، ص85.

نصح ابن خلدون ألا يتعلّم المتعلّم العلمين في الآن نفسه لأن ذلك يؤدّي إلى تشتّت الذهن وانقسامه بقوله : « ومن المذاهب الجميلة ، والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا ، فإنّه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر ، فيستغلقان معا ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة ، وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصراً عليه ، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله.»[1]

وبهذا يكون العلامة ابن خلدون قد راعى قدرات المتعلم وظروفه ؛ فالعلمان مع بعضهما البعض قد يثقلا كاهل المتعلم ، ويصرفا ذهنه فلا يظفر لا بالعلم الأوّل ولا بالثاني ويخيب مسعاه ، ولو تفرّغ لعلم واحد لكان أولى به ، وأحسن له.

وقد تحدّث ابن خلدون عن التربية و التعليم في مقدمته و « عرَض آراءه و أفكاره الناضجة في هذا الميدان . فقد بلور بوضوح تثقيف الفرد لكي تتطوّر مداركه و تتّسع آفاق معرفته حتى يتمكّن من الابتكار ... لذا نستطيع القول إنّه أرسى أصول التربية و طرق التدريس اللذين يتّفقان مع التجارب العلميّة و التربويّة الحديثة. »[2]

ولو تتبّعنا مقدّمة العلّامة ابن خلدون فيما كتبه عن التعليم وما يتعلّق به ، لوجدناه وضع أسساً وقواعد لأغلب نظريات التعليميّة الحديثة . وهذا يُنمّ عن منهج دقيق قويم، و طريق متفرّد سليم.

4 ـ الوسائل التعليمية:

إنّ كل عملية تعليمية لابُدّ لها من وسائل لتسهيلها وتيسيرها وتسييرها، وللوسائل التعليميّة « مكانة مرموقة بين المدخلات التربويّة لتعدّد فوائدها ، وتحظى بأهميّة بالغة لدى المتعلّمين والمخطّطين التربويين ؛ لما لها من أهميّة في أنّها تؤدّي إلى استثارة اهتمام الطالب وإشباع حاجته للتعلّم.»[3]

وتُعرَّف الوسائل التعليميّة بأنّها : « المواد والأجهزة والمواقف التعليميّة التي يستخدمها المعلّم في مجال الاتّصال التعليمي بطريقة ونظام خاص لتوضيح فكرة أو تفسير مفهوم غامض ، أو شرح أحد الموضوعات بغرض تحقيق التلميذ لأهداف سلوكيّة محدّدة.»[1]

1 – مقدمة ابن خلدون ، 487.

2 ـ رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية ، علي بن عبد الله الدفاع ، مكتبة التوبة ،دون ذكر مكان ، (د . ت) ص.218

3 – الوسائل التعليميّة ، سمير جلوب ، دار من المحيط إلى الخليج ، الأردن ، ط1 ، 2017 م ، ص12 .

وتعني في معناها الواسع: «كل الأدوات التي تساعد التلميذ على اكتساب معارف أو طرائق أو مواقف وعلى العموم فإنّ الوسائل التعليميّة هي كل ما له علاقة بالأهداف الديداكتيكيّة المتوخّاة والتي تشغل وظيفة تنشيط الفعل التعليمي . »[2]

من خلال التعريفين السابقين أفهم أنَّ الوسائل التعليميّة هي كلّ ما من شأنه أن يُعِين المعلّم على إيصال فكرته للمتعلّم ، ويعين المتعلّم على اكتساب معارف وخبرات جديدة ، ويُسهم في تحقيق الأهداف التعليميّة . وقد تكون هذه الوسيلة أو الأداة أو الآلة أو الموقف مدعاة لترسيخ العلم في النفوس والأذهان، وتغلغله في الأسماع والوجدان، وتقبّله في الأبصار بالإمعان .

وألاحظ أنّ الوسائل التعليمية كانت موجودة منذ القديم وكان الإنسان يستخدمها بشكل عفوي وكانت وليدة اللحظة والموقف ثمّ تطوّرت بتطوّر الإنسان نفسه ،بشكل متسارع من عصر إلى عصر ، وأصبحت الحاجة مُلحّة لها في مجال التربيّة والتعليم ؛ إذ أدرك المربّون حاجة المعلّم والمتعلّم للوسائل التعليميّة لإنجاح عمليّة التعلّم والتعليم. وسأركّز هنا على الوسائل التقليدية التي كان القدماء يستخدمونها ولا يستغنون عنها. من خلال ما يأتي :

أ – القلم :

وهي أول وسيلة تلفت انتباه ي ، فقد خُصّ بسورة كاملة في القرآن الكريم، وأقسم به المولى سبحانه وتعالى، والقسم بالشيء يدل على عظمته وشرف مسمّاه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾[3] أي :« ما كُتب به اللّوح أو قلم الملائكة أو الذي يكتب به الناس، أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف.»[4]

1 – الوسائل التعليميّة ، حمزة الجبالي ، دون ذكر دار نشر ،2016م ، ص9 .

2 – دروس في اللسانيات التطبيقيّة ، صالح بلعيد ،دار هومة ، الجزائر ، ط7 ، 2012 م ، ص107 .

3 – سورة القلم، الآية: [1].

4 – تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله النسفي، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، لبنان ط1، 1416هـ/1996م، ج4، ص 408.

وكان أول خطاب إلهي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم آمراً له بالقراءة والكتابة بالقلم في قوله جل شأنه: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) ﴾[1] فهنا « نبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة، وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأوّلين، ولا كُتُب الله المنزلة إلاّ بالكتابة... ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلاّ أمر القلم والخط لكفى به.»2 وهذا دليل على مدى شرف القلم وعظمته.

وكان يطلق لفظ "القلم" على الخط والكتابة، كما في كتاب الفهرست في المقالة الأولى: الكلام على القلم العربي، ثم قال: « اختلف الناس في أول من وضع الخط العربي.»[3] أي أوّل من وضع حروف العربية تُكْتَب .

ب– المحبرة :

في القديم كان القلم ومعه المحبرة فهو ليس كأقلام اليوم؛ فكان العلماء عندما يحثون على تقييد العلم يرشدون إلى قلم ومحبرة، ومن ذلك قول الزرنوجي: « وطريق الاستفادة أن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد العلمية.»[4] وهو يقصد بذلك طالب العلم إذا أراد أن يستفيد ممّا يتعلّم فعليه أن يحمل معه قلما ومحبرة ليقيّد ما يسمعه من فوائد العلم.

ج – القرطاس :

[1]– سورة العلق، الآيتان: [3 ، 4].

[2]– تفسير النفسي، ج4، ص 541.

[3]– الفهرست، النديم ، تح: رضا تجدّد ، دون ذكر دار نشر ،(د.ت) ، ص 07.

[4] – تعليم المتعلم طريق التعلم ، ص 123.

كانوا قديما يستعينون بقوّة ذاكرتهم في الحفظ ، لكنّهم كانوا يستخدمون القراطيس مخافة أن تخونهم الذاكرة ورُوي عن سفيان الثوري (ت 161 هـ) قوله : بئس المستودَعُ العلمِ القراطيسُ ؛ فهذا ذمٌّ للاتّكال على الكتاب وأمر بالحفظ ، لكنّه مع ذلك كان يكتب احتياطا واستيثاقا[1].

وما يدلّ على مكانة القرطاس قول المتنبي(ت 354 هـ)(من البسيط):[2]

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ

إذن القرطاس دليل على مكانة المتنبي وشهرته ، وهذا لأنّ هذه الوسيلة كانت تستخدم بكثرة.

د – الكتاب :

الكتاب من الوسائل التعليميّة التي كان القدماء لا يستغنون عنها ، ومن أحسن ما قيل في منزلته : « هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرّفيق الذي لا يملّك... والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنّفاق ولا يحتال لك بالكذب، والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوّد بنانك وفخّم ألفاظك...»[3]

وقد أسهب القدماء في الحديث عن الكتب والتأدّب معها، وحملها، ووضعها، وحتى شرائها وعاريتها ؛ فينبغي لطالب العلم « أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه، شراء، وإلاّ فإجارة أو عارية؛ لأنها آلة التحصيل.»[4] إذن على المتعلم أن يتحصل على الكتب بالطرق المعهودة المعروفة،المشروعة المألوفة كالشراء أو الإعارة.

1 – تقييد العلم ، الخطيب البغدادي ، تح : سعيد عبد الغفار علي ، دار الاستقامة ، القاهرة ، ط1 ، 1429 هـ/2008 م ص62 .

[2] – ديوان المتنبي ، المتنبي ، دار بيروت ، بيروت ، 1403 هـ/1983 م ، ص332 .

[3] – الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1384هـ/1965م ج1، ص 50.

[4] – تذكرة السامع والمتكلم، في أدب العالم والمتعلم، ص 126.

ومن الأدب مع الكتب ألاّ يضعها المتعلِّم: « على الأرض كيلا تتندّى أو تبلى وإذا وضعها على خشب أو نحوه، جعل فوقها وتحتها ما يمنع تآكل جلودها به... ويراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها ومصنّفيها وجلالتهم... فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكلّ.»[1]

فلمّا كان الكتاب بهذه الأهميّة لأنّه وعاء العلم ،كان لابدّ من الأدب معه حتى في طريقة وضعه، فلا يوضع على الأرض ولا على الخشب ؛ لأنّ ذلك يضرُّ به ويعرّضه للتّلف.

هـ – اللوح :

من الوسائل التعليمية الأخرى التي كانت تستخدم كثيراً في التعليم قديماً اللوح ؛ « فقد كان المعلم يكتب لبعض تلاميذه ما يساعدهم على التعلم على اللوح، ثم بعد أن يحفظوه يمحوه، ويكتبوا غيره وهكذا . »[2] وهذه الوسيلة كانت تستخدم كثيراً في الكتاتيب ويستعان بها على حفظ القرآن الكريم.

5 ـ البيئة التعليمية:

المقصود بالبيئة التعليمية « جميع العوامل المؤثّرة في عمليّة التدريس ، وتُسهِم في تحقيق مناخ جيّد للتعلّم يجري فيه التفاعل المثمِر بين كل من المعلّم والمتعلّم والمادّة الدراسيّة ، وتُيَسِّر آداء المعلّم لرسالته ، وتزيد من اعتزاز المتعلّم بمدرسته والولاء لمجتمعه.»[3]

وسأركّز هنا على الأماكن التي كانت تختص بالتعليم في القديم، فممّا هو معروف أنّ المدارس المنظّمة الموجودة اليوم لم تكن معروفة في القديم وإنّما كانت هناك أماكن يحصّلون فيها العلم على قدر حالهم.

[1] – تذكرة السامع والمتكلم، في أدب العالم والمتعلم ، ص128.

2 – الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت)، ص 71.

[3] – التدريس نماذجه ومهاراته ، ص85 .

« وكانت أماكن التعليم في الأساس هي أماكن العبادة الدينية. ومنها وحولها أخذت أماكن التعليم تنتشر، ثم طرأت الحاجة إلى تعليم غير مرتبط بالدين بالضرورة، فكانت الأماكن المتخصّصة للتعليم والممارسة في مجالات: الفلسفة والطب والفلك وغيرها من المهن.»[1]

ولو عُدنا إلى بدايات الإسلام الأولى لوجدنا التعليم، كان يتم حيثما شاء واتفق « في أي مكان تتوفر فيه فرصة لقاء المعلم بالمتعلم أو المتعلمين، فكانت دار الأرقم في مكة المكرمة حيث يجمع الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين سراً، وكانت تحدث مواقف من الدعوة والتبليغ والتعليم حول الكعبة، وفي أماكن اجتماع الناس ونواديهم، وكان التعليم يتم كذلك في بيوت المسلمين.»[2]

لأنه في بدايات الدعوة كان المسلمون يخشون على أنفسهم من بطش الكفار، فكان المسلم أنّى التقى بالمسلم يسأله عن أمور دينه قد يكون في البيت أو في الشارع أو بجوار الحائط. وبذلك يتم التعليم.

ولما هاجر الرسول الكريم إلى المدينة المنوّرة، وأوحى له المولى سبحانه وتعالى ببناء المسجد النبوي، كان له « دور كبير في الحياة الفكرية في المدينة فقد شهد منذ تأسيسه حركة علمية واسعة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر فيه التعليم بنفسه وذلك من مقتضيات رسالته.»[3] أي إنّ المسجد كان له الأثر الفّعال في التعليم فهو مكان الصلاة بالدرجة الأولى وفيه يتعلّم المسلمون أحكام دينهم، وأمور د نياهم، وكان المسلمون يكثرون من الجلوس في المسجد للقراءة أو للدعاء، وكانوا يتحَلّقون فيه للذكر أحياناً.

ومن الأماكن التي كانت تُلَقّنُ فيها العلوم قديماً الكتاتيب، وبرز دورها لما كثرت الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية، فتعدّدت في كافّة الأنحاء التي حلّ بها الفاتحون، وذلك بسبب الحماس الشديد لتعلّم القرآن الكريم[4].

و«كان المعلمون يعلّمون علوماً أساسية في الكتاتيب تتناسب وقابلية الطفل ومستوى إدراكه »[5] وعادة ما كانت الكتاتيب لتعليم القرآن فالراجح أنّها أنشئت من أجله، وهو السبب في إيجادها، ولأجل تعلُّم القرآن لابُدّ من البدء

[1] – مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1439هـ/2018م، ص 222.

[2] – مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي ، ص 226.

[3] – الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص58.

[4] – ينظر: التربية والتعليم في الإسلام، ص 58.

[5] – الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص 77.

بتعلُّم القراءة والكتابة، وفي بعض الكتاتيب لا يعلم مبادئ القراءة والكتابة، لأنّ المعلّم يعتمد على الطريقة الشفوية بإسماع المتعلّم مقاطع من القرآن، وهو يعيدها ويكررها إلى أن يحفظها.

وإلى جانب الكتاتيب كانت هناك مؤسسات تعليمية أخرى منها[1]:

أ – الرّباط: وهي في الأصل مصدراً رابط وكانت تطلق على الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الإسلامية ثم أصبحت تطلق على البيوت التي يسكنها المتصوفة.

ب – الخانقاه: وهي بيوت كانت تبنى على شكل مساجد الصلاة لكن فيها عرف عديدة للفقراء والصوفية وكانت ملجأ لطلبة العلم والرّحالة.

ج – البيمارستان: ومخفّفها مارستان ويقصد بها المستشفى، وكان في القديم يُحبس فيها المرضى، ويكون فيها الأطباء والخدم وما يحتاج إليه من آلات، وتُجْعَلُ فيها خزائن الكتب وغرف لتدريس الطبّ والصيدلة.

د – الزاوية: وهي أكثر ما تكون في الصحاري والأمكنة الخالية من السكان، وكانت تطلق أحياناً على ناحية من نواحي المسجد الكبرى تقام فيها حلقات العلم.

ثم بعد ذلك ظهر مصطلح المدرسة، وحلّت المدارس محلّ هذه المؤسسات جميعاً، وقد تحدّث القدماء [2] عن المدرسة وطريقة اختيارها وشروطها واغتنام الأوقات فيها إلى غير ذلك ممّا يتعلق بها.

المبحث الثاني : أهداف العملية التعليمية عند القدماء.

الحياة كلها لا بدّ أن تُبنى على أهداف ساميّة، وغايات سانيّة، والمشكلة ليست في عدم تحقّق الأهداف فيها بل في عدم وجود الأهداف أصلاً، لأن عدم وجود الأهداف يترك المجال فسيحاً للضبابية والغموض، وكلّما كانت الأهداف واضحة تحدّدت الأمور بدقة والدّقة والتحديد هما طريقا التقدّم العلمي الذي يؤدّي إلى تقدّم المجتمع.

[1] – ينظر: المؤسّستيّة في الإسلام تاريخاً وتأصيلاً، رفعت السيد العوضي وآخرون، دار السلام، مصر، القاهرة، ط1 1433هـ/2012م، ص 228.

[2] – ينظر: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص 137.

وكيف يكون الحال إذا تعلّق الأمر بالتعليم؟ فالتعليم هو عصب الحياة وشريانها ووريدها ، و« تعدّ الأهداف التعليميّة الخطوة الأساسية في أيّ عملية تعليمية،بل تعدّ الموجّه الأساسي للمعلّم والمتعلّم على حدّ سواء، حيث يجب على كل منهما أن يكون على بيّنة من أهداف التعليم، بل إنّ المعلّم يجب أن يعرف ماذا يريد تعليمه للمتعلمين، وكيف يسلك المتعلّمون بعد التعليم، وإنّ المتعلّم يجب أن يعرف الأداء الذي يتحتّم عليه القيام به بعد التعلّم. »[1]

والأهداف التعليمية: « تنبثق مباشرة من الأهداف التربوية، وترتبط بها وتختلف عنها في أنّها محدّدة ومفصّلة ويعبّر عنها من جانب المتعلّم أي : هي المراد تعلّمه من قبل المتعلّم باعتبار ذلك السلوك هو النتاج التعليمي المراد بلوغه عند نهاية عمليّة التعليم »[2] ؛ فالتربية لها علاقة وطيدة بالتعليم لكنها أعمّ وأشمل وأوسع.

وبتعبير آخر الأهداف التعليمية هي:« وصف لتوقّعات سلوكيّة ينتظر حدوثها في شخصية المتعلّم نتيجة لقيامه بالأنشطة، أو مروره بخبرة أو موقف تعليمي معين.»[3]

والأهداف التعليمية هي غاية النظام التعليمي ، ويُقصَد بها « الأداء المطلوب من المتعلّم بعد نهاية العملية التعليمية، والهدف يجب أن يكون محدّداً وقابلاً للملاحظة والقياس.»[4]

من خلال ما سبق نستنتج أن الأهداف التعليمية تتعلق بالمتعلم أكثر مما تتعلق بالمعلم، لكن المعلم ينبغي أن يكون على دراية بهذه الأهداف من أجل أن تسير العملية التعليمية وتؤدي النتائج التعليمية المنوطة بها، ويشترط في هذه الأهداف ألا تكون خواطر بالبال، وتدور في الخيال فقط، وإنما ينبغي أن تكون واقعية وظاهرة،يمكن ملاحظتها وقياسها.

ومنذ القديم اهتمّ علماؤنا المسلمون والعرب بالأهداف المرجوّة من وراء التعليم، وأن يكون ثمّة أهداف أخرى تعزّز الجانب المعرفي وتستند إليه وقد « اختلف المسلمون وغير المسلمين في بيان الأهداف التي قصد إليها الإسلام من وراء حضّه على العلم، فمنهم من قال إنّ أهدافه من وراء ذلك هي إحياء شعائر الإسلام والقيام بفروضه لا

[1] – علم النفس التربوي، عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون، مكتبة العبيكان،الرياض، ط9، 1435هـ/2014م، ص114.

[2] – القياس والتقويم في التربية والتعليم، هادي مشعان ربيع، دون ذكر دار نشر،(د ت)، ص39.

[3] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[4] – تكنولوجيا التعليم كفلسفة ونظام، زاهر أحمد، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،ط1، 1966م ، ص 32.

غير، فالأغراض الدينية بحتة ... ومنهم من قال: إنّ أهداف الإسلام من التعليم هي أهداف دينية ودنيوية معا فإن الدين الإسلامي لا يمنع أهله من الإفادة ممّا في الكون.»[1]

وبالتوفيق بين هذا الرأي وذاك يمكن القول: إن الإسلام في بداياته حثّ على التعلّم من أجل أغراض دينية وكان لزاما على الناس تعلّم أمور دينهم ، لكن كان يوجّه إلى كسب الإنسان قوت يومه بالطرق المشروعة من صناعة وتجارة وغير ذلك.

والأغراض التي ذكرها القدماء للتعليم أغراض متنوّعة ومتعدّدة، وكلٌ له نظرته الخاصة. و« مذهب المفكّر في التعليم جزء أو صدى لمذهبه العام في الحياة أو فلسفته ؛ إذ كانت الفلسفة هي النظر الشامل للحياة .»[2] وبالتنقيب في كتب الأوّلين الذين تحدّثوا عن التعليم ومناهجه وطرقه وأهدافه، نستقي بعضا من تلك الأهداف التي ذكروها.ومنها ما يأتي:

1 -**الهدف الديني:**

وهذا الهدف أوّل الأهداف وأولاها، وآكدها ؛ لأنّ كلّ الأهداف الدّنيويّة الحياتيّة إنّما تعود لهدف أسمى هو العبادة مصداقا لقول الحق تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56) ﴾[3] والمقصود بالعبادة هنا التوحيد وكل عبادة في القرآن الكريم هي توحيد[4] .

وبتتبّع بعض كتب التعليم يّة في القديم ، ككتاب آداب المعلمين لابن سحنون، والرسالة المفصّلة للقابسي وكتاب السياسة لابن سينا، وكتاب جامع البيان وفضله لابن عبد البر(ت463 هـ)،وكتاب الإحياء للغزالي،وكتاب تعليم المتعلّم طريق التعلّم للزرنوجي، ومقدمة ابن خلدون وغيرها من الكتب نجد كل هؤلاء العلماء أكّدوا على الهدف الديني للعمليّة التعليميّة.

ومن ذلك ما جاء في مقدمة كتاب جامع البيان وفضله قول صاحبه: « فإنك سألتني رحمك الله عن معنى العلم، وفضل طلبه وحمد السعي فيه، والعناية به وعن تثبيت الحجاج بالعلم... فأجبتك إلى ما رغبت، وسارعت

---

[1] – التربية والتعليم في الإسلام، محمد أسعد طلس ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، (د.ت) ،ص124.

[2] – المرجع نفسه ، ص125.

[3] – سورة الذاريات، الآية:[56].

[4] – ينظر: تفسير النسفي، ج4، ص 275.

فيما طلبت رجاء عظيم الثواب، وطمعا في الزلفى يوم المآب ولما أخذه الله تعالى على المسؤول العالم بما سئل عنه من بيان ما طلب منه وترك الكتمان لما علمه .»[1] فهو يعلل طلبه للعلم وتبيان ما يتعلق به من أجل نيل الأجر والثواب، والتقرب من المولى عز وجل لأنه أُمِر بطلبه وعدم كتمانه.

2 -**الهدف الخُلُقي**:

وهذا الهدف لصيق بالهدف الديني وتابع له، ذلك أن الدين حثّ على مكارم الأخلاق، وقد اعتنى العلماء القدماء ببناء معلّم ومتعلّم يتّصفان بالأخلاق الفاضلة المحمودة والغاية الأولى والأساسية من التعليم هي تنشئة فرد صالح في المجتمع، يؤتي أُكْلَه أنّى وُضِع، وأغلب الكتب التي تحدثت عن العملية التعليمية وآدابها للمعلم والمتعلم ركّزت على الجوانب الأخلاقية.

بل إنَّ أكثر المؤلفين كان سبب تأليفهم هو التعريف بالأخلاق والآداب لِمَا رأى مالها من المكانة والمنزلة ومن ذلك قول ابن جماعة: « فإنَّ من أَهَمِّ ما يبادر به اللبيب شَرْخَ شبابه، و يُدْئِبُ نَفْسَه في تحصيله واكتسابه: حُسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله واتّفقت الآراء والألسنة على شكر أهله.»[2]

ويضيف قائلاً في موضع آخر: « ولما بلغتْ رتبة الأدب هذه المزية، وكانت مدارك مفصَّلاتِه خفيّة دعاني ما رأيتُ من احتياج إليه وعسر تكرار توقيفهم عليه.- إمَّا لحياءٍ فيمنعهم الحضور،أو لجفاءٍ فيورثهم النفور- إلى جمع هذا المختصر.»[3]

وبدأ بآداب العالم وذكر له جملة من الصفات وبيّن الفضل الذي خُصَّ به، والمعلم صاحب الفضل لأنه إن اتصف بمكارم الأخلاق مع طلابه ،كان الأجدر أن يتصفوا ويتحلَّوا بها، لأنَّ المعَلِّم قدوة للمتعلمين، فهو يتصف ويتحلى بالصفة التي يريد أن يراها ويتمثّلها هدفا لتلاميذه، ومن جملة تلك المكارم الإخلاص، والصبر والصدق والعدل، وغيرها.

ورأى العلّامة ابن خلدون أنَّ التعليم بالشدّة فيه مضرَّة بالمتعلّمين وهو يؤدّي إلى سوء الملكة، لأنه بذلك «فسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزله ، وصار

[1] - جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر، تح:أبو الأشبال الزهيري،دار ابن الجوزي،ط1، 1411هـ/1994م،ص02.
[2] - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص31.
[3] - المرجع نفسه،ص32.

عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل سافلين»[1].

هكذا علّمنا ابن خلدون أنّ بضدِّها تتضح الأشياء. فلو عُلِّم الولدان بالرِّفق واللين والرحمة تحلُّوا بذلك الخلق في أنفسهم واكتسبوا الفضائل وجميل الأخلاق، ولكن لو تربوا وعلموا بالشدة انقلبت حالهم، وابتعدت عن غايتها الإنسانية النبيلة.

3 _ الهدف الاجتماعي:

إنّ العلم يرفع من منزلة صاحبه، وينزله المنزلة الرفيعة، والمكانة الاجتماعية اللائقة، وكثيرا ما حوّل العبيد سادة والأذلّاء أعزّاء، لذا قيل: « ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكّام على الناس، والعلماء حكّام على الملوك» [2]. وكيف يكون العلماء حكّاماً على الملوك؟ بعلمهم ومعرفتهم، فهم بذلك يملكون الحجّة والدليل فيفحمون بها الملك الظالم، ويقنعون بها الملك العادل.

وقيل: « يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيّا، والعزّ وإن كان صاحبه مهينا والقرب وإن كان قصيّا، والغنى وإن كان فقيرا، والمهابة وإن كان وضيعا »[3] ؛ فكثيراً من العلماء كانوا من الموالي، ولولا حرصهم وتفانيهم في طلب العلم لما سمع بهم أحد، ولما ذُكروا ومُجِّدوا وذاع صيتهم، وطارت شهرتهم في الآفاق.

وقد حَذَّر العلماء من اللّهث وراء الأمور الدنيويّة من طلب للشهرة والجاه والمال من وراء العمليّة التعليميّة لأنَّ بعض العلماء كانوا يُرْمَوْن بذلك، ويقول الإمام أبو حامد الغزالي ردًّا على ذلك: « إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون، فاعلم أنّ ما ينال به الفضل عند الله شيء، وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كانت شهرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة، وكان فضله بالسرّ الذي وقَر في قلبه، وكانت شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة، وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته.»[4]

---

[1] – مقدمة ابن خلدون، ص492.

[2] – إحياء علوم الدين، ص 14. والقول لأبي الأسود الدؤلي(ت 69هـ).

[3] – تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص42 . والقول لوهب بن منبه الصنعاني(ت110هـ).

[4] – إحياء علوم الدين، ص 32.

فهنا الإمام الغزالي يضرب المثل بالخليفتين أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما– فرأى أنّهما اشتهرا بين الناس بسبب الخلافة لكنّهما لم يقصدا إلى الشهرة لأنّ فضلهما الحقيقي لا يعلمه إلا الله، فهو الذي يعلم قصدهما، ودرجة تقرّبهما إليه بعلمهما ، الذي تكون الغاية الاجتماعية منه نفع الناس.

ويظهر الهدف الاجتماعي للعملية التعليمية حينما يكثر العمران وتعظم الحضارة وفي هذا الشأن يقول العلامة ابن خلدون: « والسبب في ذلك أن تعليم العلم–كما قدمناه– من جملة الصنائع، وقد كنّا قدمنا أنّ الصنائع إنّما تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترف،تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة.»[1]

ذلك أنّه كلّما كثر أفراد المجتمع، وتطورت الحياة احتيج أكثر إلى التعلّم، فيتعلّم الإنسان، لأنّ العلم ضروري لحياة الأفراد في المجتمع؛ فكلما تعلّم الإنسان أكثر عاش حياة اجتماعية أفضل، ويكون المجتمع مجتمعاً راقياً بفضل العلم والتعلّم.

4 _ الهدف الاقتصادي:

على كل إنسان أن يعمل عملاً يكسب به قوت يومه، وليعمل هذا العمل على أكمل وجه لابدّ له من أن يتعلّم كيف يعمل هذا العمل، ويكون الهدف من هذا التعليم كسب المال والرفاهية في الحياة.

وقد جاء في الرسالة المفصّلة: « لابدّ للناس من معلّم يعلّم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً، ولولا ذلك لكان الناس أميين »[2] ؛ فالمعلم عليه أن يتعلم العلم ليصير معلّما، وعندما يصير كذلك يعلّم الناس ليتقاضى بذلك أجرة ينتفع بها.

وقد اعتبر العلامة ابن خلدون العلم من جملة الصنائع، أي هو مهنة كغيرها من المهن فعقد في مقدمته فصلاً كاملاً أسماه : فصل في أنَّ تعليم العلم من جملة الصنائع [3] ، وقبل هذا بيَّن وأرشد إلى ضرورة الكسب بقوله: « ثم

[1] – مقدمة ابن خلدون، ص368 .

[2] – الرسالة المفصّلة، ص100.

[3] – ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص365.

اعلم أنَّ الكسب إنّما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل، فلا بُدَّ من الرزق من سعي وعمل. لأنّه إن كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر.»[1]

فهو بيّن أن الإنسان يفتقر إلى قُوتِه من صغره إلى كبره وليقتات لابُدَّ له من السعي والكسب و الكسب يكون بامتهانه لصناعة من الصنائع، والعلم من تلك الصنائع التي تعود عليه بما يقُوته.

لكن القدماء رأوا أن الهدف المادّي الاقتصادي ينبغي ألاَّ يطغى على الإنسان ويكون هو الهدف الرئيسي وإنّما ينبغي أن يكون وسيلة لا غاية حتى لا تفسد النيّة في طلب العلم والتي هي: « نشر العلم وإحياء الشّرع ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل ودوام خير الأمّة بكثرة علمائها، واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعدهم،وبركة دعائهم له. وترحّمهم عليه ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله وبينهم ، وعداده في جملة مُبلِّغي وحي الله تعالى وأحكامه، فإنَّ تعليم العلم من أهمِّ أمور الدِّين وأعلى درجات المؤمنين.»[2]

إذن على المعلِّم والمتعلِّم أن يخلصا من أجل نيل الثواب الأخروي الدائم لا الأجر الدنيوي الزائل.

5 _ الهدف الثقافي:

وهنا تكون الأهداف والغايات علميّة فكريّة من أجل المعرفة والابتعاد عن الجهل والخرافات التي كانت منتشرة في القديم ولا تزال حتى في أيام الناس هذه. وهذا الهدف نجده جليّا في كتب الجاحظ لاسيما كتابه الحيوان، فكان ينتهج منهجاً علمياً تجريبياً للوصول إلى فهم تلك الحيوانات والتدبّر في كنهها، وطريقة عيشها بما وهبها الله من الحيلة.

ومن ذلك ماحكاه عن الذَّرَّة [3] قائلاً : « قد علمنا أن ليس عند الذَّرَّة غَنَاءُ الفرس في الحرب والدَّفع عن الحريم، ولكنَّا إذا أردنا موضع العجب والتعجيب، والتنبيه على التدبير... فأريناك ما عنده من الحسّ اللطيف والتقدير الغريب، ومن النظر في العواقب، ومشاكلة الإنسان ومزاحمته.»[4]

---

[1] – مقدمة ابن خلدون ، ص318.

[2] – تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ص72 .

[3] – الذرّ : صغار النمل واحدته : ذرّة . (لسان العرب ، ج4 ، ص304 .)

[4] – الحيوان، ج 4،ص5.

ومن تدبير الذّرّة أنها تدّخر للشتاء في الصيف، وتقوم بتيبيس الحبوب حتى لا تصاب بالعفن و التسوس وإذا خافت أن تنبت تلك الحبة قامت بشقّها نصفين، ولما رأت أنّ حب الكزبرة ينبت حتى و إن شُقَّ ، فلقته أرباعا وبهذا الفعل يراها الجاحظ قد تجاوزت فطنة جميع الحيوان ، بل قد تجاوز بعض الناس أيضا[1].

وهنا تظهر براعة الجاحظ وفطنته وقوة ملاحظته.فلقد لاحظ ما تقوم به النمل وصغارها بأمِّ عينه، ودقَّق في الأمر ثم علَّق عليه ونقله للآخرين لا لشيء إلَّا للمعرفة والعلم أوَّلاً ولتبيين عجائب خلْق الله ثانياً.

6 – الهدف النفسي:

وهذا الهدف يتمثل في اللذة والسعادة التي يجدها الإنسان في نفسه من متعة التعليم والحصول على المعرفة « وهو هدف اللذة الروحية من العلم، وذلك الهدف يدفع صاحبه إلى التعلُّم والبحث لا لشيء سوى البحث والتعلُّم لذاتهما مكتفيا بلذة البحث عن الحقيقة والتفتيش عن دقائق المعرفة.»[2]

و« إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلاَّ به... فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم.»[3]

ذلك أنّ كلَّ شيء يُتَوصّل له بالعلم ، لذلك من أهداف التعلّم : التعلّم لذات العلم لا لشيء آخر لأنَّ به تحصل سعادة النفس الدنيوية والأخروية.

ولو رجعنا إلى ما رأيناه في المبحث السابق حول المعَلّم وآدابه ووظائفه في علاقته بالمتعلم، وعدم التمييز بين المتعلمين والعدل بينهم ـ لوجدنا أنّه يهدف إلى مراعاة الجوانب النفسية لدى المتعلم من أريحيّة النفس وجبر الخواطر.

هذه جملة من أهداف العمليّة التعليميّة عند القدماء، وهي لقليلة جداً ، لو قارناها بالكمّ الهائل من الأهداف التي ذكروها في تراثهم الضخم ، ولو بحثنا لوجدنا هدفا لكل مجال من المجالات الحياتيّة فهي شاملة ومتنوعة ومتكاملة فيما بينها، وتغطِّي جميع جوانب الشخصيّة الإنسانيّة البشريّة، وتُعنى بالجوانب الدينيّة والأخلاقيّة

[1] – ينظر : الحيوان ،ج4، ص6

[2] – التربية والتعليم في الإسلام، ص 124.

[3] – إحياء علوم الدين، ص 20.

والاجتماعيّة والنفسيّة والاقتصاديّة وغيرها دون أن تتنازل عن أيّ هدف منها، وهذا كفيل بالردّ على أولئك الذين رأوا أنَّ علماءنا لم يكن لهم من هدف غير الهدف الديني. ولو اكتفوا به لكفاهم هدفا ،ولكساهم فخرا.

المبحث الثالث: شروط ومقومات التعليم الجيد.

تعدّ التنميّة المتكاملة للشخصيّة الإنسانيّة من الأهداف الساميّة لكافة المنظومات التربويّة ، وهذا لا يكون إلا بالتعليم الجيّد ؛ فهو الأداة والوسيلة لتحقيق التعلّم الفعّال ، وإنّ « التعليم الجيّد يجب أن يؤدّي دائما إلى تعلّم جيّد ، وأنّ التعلّم الجيّد يجب أن ينير الطريق إلى تعليم أكثر جودة ؛ لأنّ مفهوم طبيعة التعلّم تحدّد طبيعة التعليم.»[1]

ويستفاد من هذا القول : إنّ هناك علاقة وطيدة بين التعليم والتعلّم ،كالعلاقة بين المعلّم والمتعلّم، فمتعلم اليوم هو معلّم الغدّ ، ومن كان يمارَس في حقّه التعليم سيمارِس هو التعليم في حقّ الآخرين ، لذلك لو أنّ هذا المتعلّم تعلَّم بشكل جيّد سيُنتَظر منه أنْ يعلِّم بشكل أجود و إن لم يتلقَّ تعليماً حسناً فلا ينتظر منه أن يودّي تعليماً حسناً، ففاقد الشيء لا يعطيه ، وكل إناء بما فيه ينضح .

وإذا بحثنا في كتب الأوّلين عن شروط ومقوّمات التعليم الجيّد لوجدناها متضمّنة في كتبهم ، وذلك أنّ التعليم الجيّد لابدّ أن تتوافر له ظروفه وشروطه وأساسياته على نحو ما رأينا في المبحث الأول ، فلو أنّ المعلّم وقف عند آدابه وتحلّى بها،وعرف وظائفه وأدّاها ، ولو أنّ المتعلّم وقف عند آدابه وتحلّى بها،وعرف وظائفه وأدّاها ، ولو توفّرت الظروف الملائمة والوسائل المناسبة والطرق الممنهجة ـ لكان التعليم جيّداً وفعّالاً .

و المنهج الذي وضعه العلّامة ابن خلدون للتعليم –كما رأينا سابقا – من شأنه أن يُنْتِج تعليما جيّدا أو كما أسماه تعليماً مفيداً ، وليكون التعليم جيّدا كذلك لابدّ له من معلّم جيّد متسلّح بالمعارف والعلوم ، ومتعلّم جيّد له الرغبة والإرادة في التعلّم والقدرة على الإبداع وتوظيف ما تعلّمه في الحياة اليوميّة ، ومحتويات مناسبة تلبّي احتياجات ورغبات المتعلّم ، ومناهج طيّعة ، ووسائل متطوّرة ، وبيئة مناسبة .وكل هذه العناصر تتفاعل فيما بينهما لتَكُون الجودة هي شعار التعليم ومبتغاه.

1 – معنى الفن ، إياد محمد صقر ، دون ذكر دار نشر ،2010م ، ص 32 .

وقد سار المحدثون على نهج ابن خلدون واقتفوا أثره ، وحدّدوا بعض مبادئ التعليم الجيّد واستفاضوا في ذكر شروطه ومقوّماته ، وهي تتعلّق بكل العناصر الأساسيّة المكوِّنة للعمليّة التعليميّة التي ينبغي أن يتّصف بها فيوصف بالجودة.ومنها ما يأتي[1]:

1 ـ التعليم الجيّد يقوم على أساس التخطيط الجيد الذي يتنبّأ بالمشكلات والصعوبات التي تعيق حدوث التعلم ووضع الحلول قبل حدوث المشكلات. والتخطيط بصفة عامة هو : « أسلوب علمي يتمّ بمقتضاه اتخاذ التدابير العلميّة لتحقيق أهداف معيّنة مستقبلية.»[2]

وكل عمل يقوم به الإنسان في حياته يحتاج إلى تخطيط مسبق ، وإذا كانت العمليّة التعليمية التعلّميّة عملا يوصل إلى أهداف وغايات نبيلة حقاً فهي : « عمل يلزمها التخطيط المكتوب ما دامت تحكم بالعقلانيّة والفاعليّة ، وتحدّد بهما ... فالتخطيط على سبيل المثال يحتاجه الطبيب قبل إجراء عمليّة جراحيّة ، ويحتاجه المهندس قبل تنفيذ مشروعاته الهندسية... فإذا كانت حاجة الطبيب والمهندس... واضحة وملحّة فهي بالنسبة للمعلّم ومهنته التي هي أمّ المهن أشدّ وضوحا وأكثر ضرورة وأهمّيّة. »[3]

ومنه يتبيّن أنّ التعليم هو أساس كل عمل ومنه يكون الانطلاق لأداء أيّ مهمَّة ، فهو أولى بالتخطيط ؛ ذلك أنّ التخطيط يؤدّي إلى مَنهجَة التعليم ، والابتعاد عن الفوضى والعشوائيّة ، وكلّما اعتمد التعليم على التخطيط قلّت الصعوبات التي تواجهه ، وسهُل حلّ المشكلات التي تعترضه ، بل تجنّب حدوثها أصلاً.

2 ـ يتطلب التعليم الجيّد تشخيصا لسلوك المتعلم قبل التعلم، فالبدء والانطلاق لا يكون من فراغ ، والهدف من التشخيص هو : « علاج ما قد يكون من صعوبات ، ولتحقيق ذلك يستطيع المعلّم الاستفادة من نواحي القوّة في المتعلّم ، وأوّل عناصر العلاج الناجح هو أن يشعر المتعلّم بالنجاح والاستفادة من نواحي القوّة في التعلّم ويتطلّب تحديد نواحي القوة والضعف في المتعلّم مهارات تشخيصيّة خاصّة لابدّ للمعلّم من تنميّتها. »[4]

1- ينظر: الإدارة الصفية، مقصي عابد الخرشية المساعيد ، دون ذكر دار نشر، 2012م ، ص 108 ، 109.
2 – التدريس نماذجه ومهاراته ، ص371 .
3 – أساسيات التدريس ، خليل إبراهيم شبر ، دون ذكر دار نشر أو تاريخه ، ص84 .
4 – الإشراف التربوي ماهيته – تطوره – أنواعه – أساليبه ، ريمة محمد وصوص و المعتصم بالله الجوارنة ، دار الخليج ، عمان ط1 ، 1434 هـ/ 2014 م ، ص380 .

يتّضح من هذا أنّه لتحقيق تعلّم جيّد على المعلّم أن يشخّص حالة المتعلّم ليتعرّف على مواطن الضعف والقوّة في شخصيّته ؛ من أجل أن يستثمر مواطن القوّة عنده ، ويعالج مواطن الضعف عنده ليتخلّص منها.

3 ـ يتطلب التعليم الجيّد تحديداً وتوضيحا للأهداف ، وتكون هذه الأهداف متلائمة في مضامينها مع إمكانات وقدرات المتعلم، وتتصف بالتدرّج في المستوى لتسهيل عملية التعلّم ؛ وتكون الأهداف التعليمية أكثر تحديداً ووضوحاً « لأنّها تضبط الموقف التعليمي حتّى يكون له من الفعل والتأثير في سلوك المتعلّمين ما يتناسب مع المسؤوليات المباشرة للمعلّمين. »[1]

وكلّما تحدّدت الأهداف بدقّة ووضوح « ساعد ذلك على اختيار المحتوى والطرائق والوسائل والأنشطة التي تعمل على تحقيق الأهداف ، كما أنّ ذلك يساعد على اختيار أساليب ووسائل التقويم التي بواسطتها يتمّ معرفة مدى تحقّق الأهداف الموضوعة . »[2]

وعند اختيار الأهداف لابدّ من مراعاة قدرات المتعلّم واستعداداته ، وحاجاته الماديّة والنفسيّة والاجتماعيّة ورغباته وميولاته التي تغطّي جميع نواحي الشخصيّة الإنسانيّة ، وتنميتها تنميّة متكاملة نابعة من روح العصر.

4 ـ يتطلب التعليم الجيد من المعلّم اختيار وتحديد الأداء المتضمّن في كل هدف، هل هو معرفي، أو عقلي أووجداني أو سلوكي ... ، فلكل أداء متطلّبات وطرق وأساليب خاصة به.

وهذا العنصر مكمّل للعنصر الذي قبله ؛ فعندما يُحدّد الهدف بدقّة يُدرَج ضمنه الأداء الذي يناسبه ويتماشى معه.

5 ـ إنّ التعليم الجيد يتطلب من المعلم اختيار الوسائل والأدوات التعليمية المناسبة الملائمة لطبيعة الأهداف ونوع الأداء ، فكلّما صلحت الوسائل وطرق استخدامها كان هذا ضمانا للوصول إلى نتائج أفضل.

ومن معايير اختيار الوسائل التعليميّة ما يأتي:[3]

1 – التأصيل الإسلامي للأهداف المهاريّة ، تهاني أحمد جوارنة ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، (د.ت) ، ص47 .
2 – الشامل في المناهج وطرائق التعليم والتعلّم الحديثة ، ص100 .
3 – إدارة مراكز مصادر التعلّم ، ربحي مصطفى عليان وعبد الحافظ سلامة ، دار اليازوري ، الأردن ، (د.ت) ، ص101 .

أ – أن تعبّر الوسيلة التعليميّة عن المحتوى المراد نقله ، وتتلاءم مع الأهداف و الموقف التعليمي.

ب – ملاءمة الوسيلة لمستوى المتعلّم من حيث العمر والخبرات السابقة ، والقدرات والمهارات العقليّة.

ج – أن تكون الوسيلة صادقة وصحيحة من الناحيّة العلميّة ، و مصطلحاتها مألوفة ، تتوفّر فيها الدّقّة والحداثة.

د – أن تراعي العادات والتقاليد و الأبعاد الاجتماعيّة ؛ لتكون الوسيلة التعليمية مرتبطة بالحياة الواقعيّة للمتعلّم ومرتبطة بمجال اهتمامه لتضمن الانتباه والإقبال على التعلّم.

6 ـ يقوم التعليم الجيّد على أساس توفير الشروط والمناخات والأجواء التعليمية الدّاعمة والمؤدية إلى حدوث التعلّم الفعّال ؛ وذلك بأن تكون البيئة التعليميّة تمكّن المتعلّمين من أداء مهّامهم على أحسن وجه ، فتكون بيئة داعمة وخالية من المعيقات ، فتزيد من دافعيّة المتعلّمين ، ويتم التعلّم فيها بأقل جهد، وأقل وقت وأكثر استمتاع.

7 ـ يقوم التعليم الجيد على أساس اختيار وتحديد أدوات القياس والتقويم لنتاجات المتعلم بدقّة ؛ والقياس و التقويم متداخلان فيما بينهما ، لكن القيّاس يُعنى بالوصف الكمّي للسلوك ، أمّا التقويم فهو عملية إصدار حكم بنّاء على معايير معيّنة في ضوء معلومات كمّيّة أو كيفيّة. ويكون قبل البدء في التعليم لتحديد المستوى الذي يبدأ عنده التعلّم ، أو أثناءه لتحديد نقاط الضّعف والقوّة لدى المتعلّم ، أوفي نهاية التعلّم للحكم على مدى تحقّق الأهداف.[1]

8 ـ التعليم الجيّد يستثمر وقت التعلّم استثمارا رشيدا بحيث لا يستطرد عن الموقف التعليمي ويخرج عنه ؛ فعامل الوقت يعدّ عاملا حاسما في العمليّة التعليميّة حيث « ظهر بشكل ضمني أنّ الوقت المحدّد هام جدا للتعليم ويعدّ شرطاً أساسياً لتحصيل الطالب لكنّه غير كافٍ لوحده ، ومن هنا ظهرت الكثير من الآراء حول توزيع الوقت في التعليم ، ومنهم من حدّدها بثلاثة متغيّرات تُسهم في تباين التحصيل وهي : الوقت المحدّد للتعليم ، والوقت المنفق في عمليّة التعليم ، والوقت الفعلي الذي يحتاجه المتعلّم ليصل لمستوى أداء معيّن. »[2]

1 – التدريس نماذجه ومهاراته ، ص541 .

2 – الفكر الإداري المعاصر في التربية والتعليم ، محمود داود الربيعي ، دار الكتب العلميّة ، (د.ت) ، ص290 .

ولا تتوقّف أهميّة استثمار الوقت في الحصص التعليميّة الفعليّة فقط بل « تتعدّاها إلى كيفيّة إدارة أوقات فراغ الطلاب بإشعارهم بأهميّة الوقت ، وتثبيت ذلك في مداركهم الواعيّة والخفيّة ؛ وذلك بإدماجهم في أنشطة تربويّة وترفيهيّة بشكل موازٍ ومتناسق مع العمليّة التعليميّة. »[1]

أستنتج من ذلك : ليكون التعليم جيّدا لابدّ فيه من التنظيم والتوجيه والتخطيط للاستغلال الفعّال للوقت وعدم تضييعه ، والإدراك الواعي بضرورة احترامه من أجل تحقيق الأهداف . وهذا لا يتعلّق بالعمليّة التعليميّة وحدها وإنّما في الحياة كلّها ؛ فأكثر النّاس نجاحاً أحسنهم استغلالاً لأوقاتهم فالوقت هو الحياة والحياة هي الوقت.

9 ـ يشجّع وينمّي قدرات المتعلّمين الإبداعية والابتكارية ، ويساعدهم على البحث والاستقصاء بدل تقديم الأمور الجاهزة ؛ لأنّ المتعلّم لم يعد ذاك المتعلّم التقليدي المتلقّي السلبي للمعلومات ، بل أصبح مبدعاً ومبتكراً يستكشف الموضوعات ويصل إلى المفاهيم ، وحينها يتعلّم المتعلّم ذاتيّا بالسرعة التي تتناسب مع قدراته ممّا يسمح للمتعلّم المتفوّق بالتقدّم بسرعة وبعمق في المادة التعليميّة.

10 ـ هو التعليم الذي تتبادل فيه الأدوار فيصبح المعلم متعلّما والمتعلم معلّما ، بحيث يتعلم المعلم من طرائق تفكير المتعلمين فيعلمهم بطريقة تليق بهم وتتناسب مع تفكيرهم ، والمتعلّم يعلّم نفسه بنفسه من جهة ، ويعلّم المعلّم كيف يعلّمه من جهة أخرى.

11 ـ يساعد المتعلمين على نقل ما تعلموه من علوم نظريّة ، وتحويلها إلى تطبيقية في مختلف المواقف الحياتية التي تصادفهم.

ويكون تحويل العلوم من نظريّة إلى تطبيقيّة عندما تُحطّم الحدود الفاصلة بين المواد الدراسيّة وتنفتح على بعضها البعض ، وعندما يُزوّد المتعلّمون بالمهارات اللازمة لتحويل الأفكار وحل المشكلات ، وبالمنهج الذي تنمّي فيه المواد العلميّة النواحي الأدبيّة ، وتنمّي فيه المواد الأدبيّة النواحي العلميّة ؛ فكلّما زادت العلاقات والارتباطات والتطبيقات أكثر بين مواد المنهج المختلفة زادت القدرة على التحويل من النظري إلى التطبيقي[2].

1 – إدارة الوقت و الأساليب المعوّقة في استخداماتها ، وليد الحيالي ، دون ذكر دار نشر ،2015 م ، ص115 .

2 – ينظر : تعليم التفكير ، إبراهيم بن أحمد الحارثي ، الروابط العالميّة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط4 ، 2009 م ، ص250.

12 ـ يقوم التعليم الجيّد على الفهم والاستيعاب و التقبّل العقلي والمنطقي ، وعلى التخزين والاسترجاع ويكون قائماً على بناء المفاهيم والمبادئ على شكل تنظيمات عقلية واضحة.

وقد اهتمّ الباحثون في مجالَي التربية و التعليم بموضوع تنميّة مهارات التفكير وتطوّرها ؛ « فالمتعلّم لا يستطيع أن يحصل على المعرفة بنفسه من دون أن يصل إلى التبصّر والإدراك والتوظيف الحقيقي لعمليّاته العقليّة، ولا يستطيع أن يتابع عمليّة تعلّمه من دون وعي لما يوظّفه من إستراتيجيات المتعلّم الإدراكيّة ، ومنسجمة مع كيفيّة تنظيم وتخزين المعلومات في ذاكرته.»[1]

ومنه على المتعلّم أن يكون على دراية بكيفيّة توظيف المهارات العقليّة والمعرفيّة والإدراكيّة ... على وعي منه وبصيرة .

13 ـ يعمل التعليم الجيّد على تطوير التفكير الإبداعي الخلاّق ، وطرح الآراء والأفكار بجرأة وبحُرّيّ ة ؛ ذلك أنّ المتعلّم قبل أن يتلقّى العلوم والمعارف يكون تفكيره محدوداً ، لكن إذا كان التعليم جيّداً تطوّر تفكيره من محدود إلى إبداعي خلاّق فتصير لديه القدرة على إنتاج وتوليد أفكار جديدة تنعكس على شخصيّته أوّلا ، وعلى مجتمعه ثانيّا .

وصاحب التفكير الإبداعي الخلاّق تكون له جرأة في طرح الأفكار ؛ لأنّه لا يرتاح إلاّ إذا رأى أفكاره حيّز التّنفيذ فهو يطمح للنهوض بمجتمعه ، ويركّز على النقد البنّاء للواقع بكل حرّيّة لأنّه مطّلع على الموضوعات بعمق فلا يخجل ممّا يطرحه من آراء ؛ لأنّه يستند إلى الحجج والأدلّة والبراهين.

14 ـ التعليم الجيّد يوظّف وسائط متعدّدة للتعلّم ويجعل من المحيط مصادر للتعلّم ، لذا ينبغي على المعلّم والمتعلّم « القدرة على استخدام الوسائط المتعدّدة المستعملة في اقتناء المعلومات ، ومعالجتها وتخزينها وتوزيعها ، ونشرها في صورها المختلفة النصيّة والمصوّرة ، بواسطة أجهزة الحاسب الآلي وأجهزة الاتصال وشبكة المعلومات الالكترونية.»[2]

1 – التعليم المعرفي وإستراتيجيات معالجة المعلومات ، نادية حسين العفون ، ووسن ماهر جليل ، دار المناهج ، عمان ، ط1 1434 هـ/2013 م ، ص160 .

2 . تكنولوجيا التعليم ، أحمد إبراهيم منصور ، الجنادرية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2015 م ، ص17 .

واليوم لا مندوحة من استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة في جميع نواحي الحياة ، ولكنّ استخدامها في العمليّة التعليميّة أشدّ إلحاحاً وأكثر ضرورة ؛ لما لها من دور في تسهيلها وتيسيرها ، بل إنّ هناك دعوات منوّهة لاستخدام التعليم الالكتروني والدعوة إليه في العمليّة التعليميّة التعلّميّة .

الفصل الثاني: مقاربة تطبيقية للمنهج التعليمي في مقامات الهمذاني

المبحث الأول: المقامات التي تضمنت المنهج التعليمي

المبحث الثاني: دلالات تطبيق المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني

إنّ المقامات هي قصص من نسج الخيال ، لكن هذا الخيال لم يأت من فراغ ، إذ إنّ الملهم الأوّل لكاتب المقامة هو الواقع ، وكل قصّة من نسج الخيال تعبّر عن مغامرة من مغامرات الواقع الذي نعيش فيه. وممّا لا شكّ فيه أنّ كل قصّة إنسانيّة هي تجربة فريدة من نوعها ، وحيدة في بابها نتعلّم منها فائدة ، ونأخذ منها عبرة أو عظة ولولا ذلك لما كثر القصص القرآني.

وعندما تَتَبّعتُ مقامات الهمذاني وجد ت كلّ مقامة تحظى بنصيبها من المنهج التعليمي لكنّني ههنا لن أتحدّث عن كل المقامات وما تضمّنته من منهج تعليمي، ، لأنّ ذلك سيفضي إلى مجلدات ، ويستغرق من الزمن سنوات ،كما يحتاج إلى عمل متواصل دؤوب، من البحث والتحقيق.

وسأقتصر في بحثي هذا على المقامات التي وردت فيها مصطلحات التعليم ومفرداته وما يتعلّق به من قريب وأبيّن الدلالات التي ترمي إليها، والمنهج الذي انتهجه بديع الزمان من خلالها وأدّى إلى التعلّم . وذلك في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: المقامات التي تضمّنت المنهج التعليمي:

يرى بعض الكتّاب أنّ بديع الزمان الهمذاني ألّف أربعمائة مقامة ، لكن لم يصلنا منها إلاّ خمسون ونيّف وهذا ما ذهب إليه صاحب اليتيمة ، وهو يترجم لبديع الزمان بقوله : « وأملى أربعمائة مقامة نحاها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها، وضمّنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ ، بعيد المرام وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام، وجِدّ يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول.»[1]

لكنّ البعض الآخر يرى أنّ بديع الزمان كَتَبَ تلك المقامات التي وصلت إلينا دون غيرها ومن رآها أربعمائة « ربّما كان ذلك غلطا من ناسخ الرسائل، فبمجرد معارضة بديع الزمان لابن دريد في أحاديثه الأربعين يقتضي أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضا.ويظهر أنه صنع في نيسابور أربعين مقامة فقط ، ثمّ رأى أن يزيد عليها مقامات أخرى بعد مبارحته لها فزاد ستّا... كما زاد خمسا أخرى ، وبذلك أصبحت نيّفا وخمسون »[2]

أفهم من الرأيين أنّه من يرى أنّ بديع الزمان عارض بمقاماته أحاديث ابن دريد يرى أنّ العدد الذي وصل إلينا هو العدد الحقيقي ، وليس ثمّة عدد آخر ،وقد يكون هذا العدد من أغلاط النسّاخ، ومن يرى أنّ بديع الزمان لم يتأثّر بابن دريد فيرى أنّ المقامات أربعمائة لكن لم تصل إلينا جميعها.

[1] – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج4 ، ص 294 .

[2] – المقامة ، ص 17 .

وقد تعّدت موضوعات المقامة عند بديع الزمان ، بالرغم من أنّ أكثرها في الكدية والاستجداء ، لكنْ ظهرت موضوعات أخرى كالمدح ، والنقد الأدبي ، والنقد الاجتماعي والوعظ الديني.وكل هذه الموضوعات تتآلف فيما بينها لتقدّم صورة عن بيئة الكاتب،وسخطه عن النظام الذي كان سائدا في عصره حينها[1].

« وهناك ناحية أخرى ركّز عليها الدارسون في مقامات الهمذاني وهي الناحية العلمية أوالتعليمية، فقد كان بديع الزمان حريصا على أن تكون مقاماته إلى جانب فوائدها الاجتماعيّة ذات فائدة تعليمية لقارئيها.»[2]

وهذه الناحيّة العلميّة التعليميّة هي التي س أتتبّعها وأرصدها في مقامات الهمذاني من خلال ذكر اسم المقامة وموضع التعليم و التعلُّم فيها دون شرح أو تحليل، ودون تفصيل أوتطويل ،لأنّ المبحث الثاني يختصّ بذلك. والمواضع هي كالآتي:

1 . المقامة القَريضيّة:

أ – في قوله: « فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ القريضَ وَأَهْلَهُ، وَتِلْقَاءَنا شَابّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنّهُ يَفْهَمُ وَيَسْكتُ وَكَأَنّهُ لَا يَعْلَمُ حَتّى إِذَا مَالَ الكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ، وَجَرّ الْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ... ولو قُلْتُ لأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ وَجَلَوْتُ الْحقّ في مَعْرَضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ، وَيُنزلُ الْعُصْمَ فَقُلْتُ: يَا فَاضِلُ أَدْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ، وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيتَ فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ، وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ. فَقُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي امْرِىءِ الْقَيسِ؟ قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيارِ وَعَرَصَاتِهَا وَاغْتَدَى وَالطَّيرُ فِي وُكُنَاتِهَا، وَوَصَفَ الْخيلَ بِصِفَاتِهَا، وَلَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ كَاسِبا...»[3]

ب – وفي قوله : « قُلْنَا: فَما تَقُولُ فِي الْنَّابِغَةِ؟ قالَ: يَثلِبُ إِذَا حَنِقَ، وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ، وَيَعْتَذِرُ إِذَا رَهِبَ، فَلَا يَرْمي إِلَّاصَائِبًا، قُلْنَا:فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيرٍ؟ قَالَ يُذِيبُ الشِّعرَ، والشعْرُ يُذيبَهُ وَيَدعُو القَولَ وَالسِّحْرَ يُجِيبُهُ، قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَةَ: قَالَ: هُوَ ماءُ الأَشْعَارِ وَطينَتُها، وَكَنْزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا، مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ وَلَمْ تُفْتَحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ »[4]

ج – وفي قوله : « قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا وَأَغْزَرُ غَزْرًا وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا، وَأَكْثَرُ فَخْرًا وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا، وَأَشْرَفُ يَوْمًا وَالْفَرَزْدَقُ أَكثَرُ رَوْمًا، وَأَكْرَمُ قَوْمًا... قُلنَا: فَمَا تَقُولُ

[1] – ينظر : المقامة ، ص24 . وينظر : فن المقامات بين المشرق و المغرب، ص89 .

[2] – فن المقامات بين المشرق و المغرب ، ص98 .

[3] – مقامات بديع الزمان الهمذاني، بشرح: محمد عبده ، دار الفضيلة ، القاهرة ،2012 م ، ص10 .

[4] – المصدر نفسه ، ص11 .

فِي المحْدَثِينَ منْ الشُّعَراءِ والمتَقَدِّمينَ مِنهُمْ؟ قالَ: المتَقَدِّمونَ أَشْرفُ لَفْظًا، وَأَكثرُ منْ المعَاني حَظًا، وَالمتَأَخِّرونَ أَلْطَفُ صُنْعًا، وَأَرَقُّ نَسْجا...»[1]

2 . المقامة البَلْخِيّة:

في قوله: « حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: نَهَضَتْ بِي إِلى بَلخَ تِجَارَةُ الْبَزِّ فَوَرَدْتُهَا وَأَنَا بِعُذْرَةِ الشَّبَابِ وَبَالِ الفَرَاغِ وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ، لا يُهِمُّنِي إِلاَّ مُهْرَةٌ فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا، أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أَصِيدُهَا، فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَى سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي أَفْصَحُ مِنْ كَلامِي... »[2]

3 . المقامة السِّجِسْتَانِيَّة :

في قوله: «سَلُوا الملوكَ وَخَزَائِنَها، وَالأَغْلاقَ وَمَعادِنَها، وَالأُمُورَ وَبَوَاطِنَها، وَالعُلُومَ وَمَوَاطِنها، وَالخُطُوبَ وَمَغالِقَهَا وَالحُروبَ وَمَضَايِقَهَا، مَنِ الذي أَخَذَ مُخْتَزَنَهَا، وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا؟ وَمَنِ الذَّي مَلَكَ مَفَاتِحَها، وَعَرَفَ مَصَالِحَها؟ أَنَا وَاللهِ فَعَلْتُ ذلِكَ... »[3]

4 : المقامة الغَيْلَانِيَّة :

في قوله : « بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ، فِي مُجْتَمَعٍ لنَا نَتَحَدَّثُ، وَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ رَجُلُ العَرَبِ حِفْظا وَرِوَايةً، وَهَوَ عِصْمَةُ بْنُ بَدْرٍ الفَزَارِيُّ، فأَفْضَى بِنَا الكَلاَمُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْماً، وِمنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ احْتِقَاراً...» [4]

5 . المقامة الأصفهانيّة :

في قوله : « فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ نُودِيَ لِلصَّلاةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ، وتَعَيَّنَ فَرْضُ الإِجَابَةِ، فَانْسَلَلْتُ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابةِ، أَغْتَنِمُ الجَمَاعَةَ أُدْرِكُهَا، وأَخْشَى فَوْتَ القَافِلَةِ أَتْرُكَهَا، لَكِنِّي اسْتَعَنْتُ بِبَرَكاتِ الصَّلاةِ، عَلى وَعْثَاءِ الفَلاةِ، فَصِرْتُ إِلَى أَوَّلِ الصُّفُوفِ، وَمَثَلْتُ لِلْوُقُوفِ وَتَقَدَّمَ الإِمَامُ إِلى المِحْرَابِ، فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الكتَابِ، بِقِراءَةِ حَمْزَةَ، مَدَّةً وَهَمْزَةً... » [5]

---

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص11 .

[2] – المصدر نفسه ، ص17 ،18 .

[3] – المصدر نفسه ، ص24 ، 25 .

[4] – المصدر نفسه ، ص43 .

[5] – المصدر نفسه ، ص56 .

وفي قوله : « قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَبَطني بِالْقُيُودِ، وَشَدَّني بِالحِبَالِ السُّودِ، ثُمَّ قَالَ: رأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ، كالشَّمْسِ تَحْتَ الغَمامِ، وَالبَدْرِ لَيْلَ التَّمَامِ، يَسِيرُ وَالنُّجُومُ تَتْبَعُهُ، ويَسْحَبُ الذَّيْلَ والمَلائِكَةُ تَرْفَعُهُ ثمَّ علَمَني دُعَاءً أَوْصَانِي أَنْ أُعَلِّمَ ذَلِك أُمَّتَهُ...»[1]

6 . المقامة الأهوازيّة :

في قوله : « وَمِنْ فَوقِكُمْ مِنْ يَعْلَمُ أَسْرارَكُمْ، وَلَوْ شاءَ لَهَتَكَ أَسْتارَكُمْ، يُعَامِلِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِحِلمٍ، وَيَقْضِي عَلَيكُمْ فِي الآخِرَةِ بِعِلمٍ، فَلْيَكُنِ الموتُ مِنْكُمْ على ذِكْرٍ، لِئَلاَّ تَأْتوا بِنُكْرٍ، فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشْعَرْتُمُوهُ لَمْ تَجْمَحُوا، وَمَتى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ تَمْرَحوا، وإِنْ نَسِيتُمُوهُ فَهْوَ ذَاكِرُكُمْ... »[2]

7 . المقامة الجاحظيّة :

أ – في قوله : « فَقَالَ الرَّجُلُ: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ الحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فيهِ؟ فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الجَاحِظِ ولَسَنِهِ، وَحُسْنِ سَنَنِهِ فِي الفَصاحَةِ وَسُنَنِهِ، فِيما عَرَفْنَاهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ دَارٍ سُكَّانٌ ولِكُلِّ زَمَانٍ جَاحِظٌ »[3]

ب – وفي قوله : « إِنَّ الجَاحِظَ فِي أَحَدِ شِقَّيِ البَلاَغَةِ يَقْطِفُ، وفِي الآخَرِ يَقِفُ، والبَلِيغُ مَنْ لَمْ يُقَصِّرْ نَظْمُهُ عَنْ نَثْرِهِ، ولَمْ يُزْرِ كَلامَهُ بِشِعْرِهِ، فَهَل تَرْوُونَ لِلْجاحِظِ شِعْراً رائِعاً؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: فَهَلُمُّوا إِلَى كَلاَمِهِ، فَهْوَ بَعِيدُ الإِشارَاتِ، قَلِيلُ الاسْتِعَاراتِ، قَرِيبُ العِبَارَات، مُنْقادٌ لعُرْيَانِ الكَلاَمِ يسْتَعْمِلُهُ... فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً،أَوْكَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ؟ فَقُلْنَا: لاَ »[4]

8 . المقامة المارستانيّة:

في قوله : « أَتَعْلَمُونَ يَقِينَاً، أَنَّكُمْ أَخْبَثُ مِنْ إِبْلِيسَ دِيناً؟ قَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي، فَأَقَرَّ وَأَنْكَرْتُمْ وَآمَنَ وَكَفَرْتُمْ... فَلْيُخْزِكُمْ أَنَّ القُرْآنَ بَغِيظُكُمْ، وَأَنَّ الحَديثَ يَغِيظُكُمْ، إِذَا سَمِعْتُمْ: مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ أَلْحَدْتُمْ وَإِذَا سَمِعْتُمْ: زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا جَحَدْتُم...»[5]

---

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص59 .

[2] – المصدر نفسه ، ص62 .

[3] – المصدر نفسه ، ص79 .

[4] – المصدر نفسه ، ص80 .

[5] – المصدر نفسه ، ص128

9 . المقامة الوعظيَّة:

أ – في قوله : « أَلا وَإِنَّ العِلْمَ أَحْسَنُ علَى عِلاَّتِهِ، وَالجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى حَالاتِهِ وَإِنَّكُمْ أَشْقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّماءُ إِنْ شَقِيَ بِكُمُ العُلماءُ، النَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ، فإِنِ انْقَادُوا بِأَزِمَّتِهِمْ، نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ وَالنَّاسُ رَجُلاَنِ: عَالِمٌ يَرْعَى، وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى، وَالبَاقُونَ هامِلُ نَعامٍ، وَرَاتِعُ أَنْعَامٍ، وَيْلُ عَالِمٍ أُمِرَ مِنْ سَافِلِهِ، وَعَالِمٍ شَيْءٍ مِنْ جاهِلِهِ»[1]

ب – وفي قوله :« زَيِّنُوا العِلْمَ بِالعَمَلِ، وَاشْكُرُوا القُدْرَةَ بِالْعَفْوِ، وَخُذُوا الصَّفْوَ وَدَعوا الكَدَرَ، يَغْفِرِ اللهُ لِي وَلَكُمْ »[2]

10 . المقامة العراقيّة :

في قوله : « فَقُلْتُ مَا هَذَا اللّسَانُ؟ ومِنْ أَيْنَ هَذَا البَيَانُ ؟ فَقَالَ : مِنَ العِلْمِ .رُضْتُ صِعَابَهُ وخُضْتُ بِحَارَهُ . فَقُلْتُ : بِأَيِّ العُلُومِ تَتَحَلَّى؟ فَقَالَ: لِي فِي كُلِّ كِنَانَةٍ سَهْمٌ فَأَيُّهَا تُحْسِنُ فَقُلْتُ : الشِّعْرَ. فَقَالَ : هَلْ قَالَتْ العَرَبُ بَيْتًا لَا يُمْكِنُ حَلُّه؟... »[3]

11 . المقامة الحَمْدَانِيّة :

في قوله : « قَالَ: سَيْفُ الدَّوْلةِ: بَلَغَتْنَا عَنْكَ عَارِضَةٌ فَاعْرِضْهَا في هذا الفَرَسَ وَوَصْفِهِ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوُثُوبِهِ، وَكَشْفِ عُيُوبِهِ وَغُيُوبِهِ؟ فَقَالَ: ارْكَبْهُ فَرَكِبَهُ وَأَجْرَاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ هُوَ طَوِيلُ الأُذُنَيْنِ، قَلِيلُ الاثْنَيْنِ، وَاسِعُ المرَاثِ، لَيِّنُ الثَّلاَثِ، غَلِيظُ الأَكْرُعِ،غَامِضُ الأَرْبَعِ، شَدِيدُ النَّفْسِ...»[4]

12 . المقامة الحُلْوَانِيَّة:

في قوله:« أَحْبَبْتُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ المبَرِّدَ فِي النَّحْوِ حَدِيدُ الموسَى، فَلاَ تَشْتَغِلْ بِقَوْلِ العَامَّةِ...»[5]

13 . المقامة العِلْمِيَّة:

وهذه المقامة كلّها حديث عن العلم وهي مجزّأة كالآتي:

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص138 .
[2] – المصدر نفسه ، ص143 .
[3] – المصدر نفسه ، ص149 .
[4] – المصدر نفسه ، ص159 .
[5] – المصدر نفسه ، ص184 .

أ – في قوله: « حَدَّثَنا عَيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الغُرْبَةِ مُجْتَازاً، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لآخَرَ: بِمَ أَدْرَكْتَ العِلْمَ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ، قَالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ المَرَامِ، لا يُصْطَادُ بِالسِّهَامِ، وَلا يُقْسَمُ بالأَزْلامِ، وَلا يُرَى فِي المَنَامِ، وَلا يُضْبَطُ بِاللِّجَامِ، وَلا يُورَثُ عَنِ الأَعْمَامِ، وَلا يُسْتَعَارُ مِنَ الكِرَامِ.» [1]

ب – ثمّ قوله : « تَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِافْتِرَاشِ المِدَرِ، وَاسْتِنَادِ الحَجَرِ، وَرَدِّ الضَّجَرِ، وَرُكُوبِ الخَطَرِ وَإِدْمَانِ السَّهَرِ وِاصْطِحَابِ السَّفَرِ، وَكَثْرَةِ النَّظَرِ، وَإِعْمَالِ الفِكَرِ، فَوَجَدْتُهُ شَيْئاً لا يَصْلُحُ إِلاَّ لِلْغَرْسِ، وَلاَ يُغْرَسُ إِلاَّ بِالنَّفْسِ وَصَيْداً لاَ يَقَعُ إِلاَّ فِي النَّدْرِ، وَلا يَنْشَبُ إِلاَّ فِي الصَّدْرِ، وَطَائِراً لا يَخْدَعُهُ إِلاَّ قَنَصُ اللَّفْظِ، وَلاَ يَعْلَقُهُ إِلاَّ شَرَكُ الحِفْظِ»[2]

ج – ثمّ قوله : « فَحَمَلْتُهُ عَلى الرُّوحِ، وَحَبَسْتُهُ عَلى العَينِ. وَأَنْفَقْتُ مِنَ العَيْشِ، وَخَزَنْتُ فِي القَلْبِ، وَحَرَّرْتُ بِالدَّرْسِ، وَاسْتَرَحْتُ مِنَ النَّظَرِ إِلى التَّحْقِيقِ، وِمِنَ التَّحْقِيقِ إِلى التَّعْلِيقِ وِاسْتَعَنْتُ فِي ذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ فَسَمِعْتُ مِنَ الكَلامِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ وَوَصَلَ إِلَى القَلْبِ وَتَغَلْغَلَ فِي الصَّدْرِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى، وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذِهِ الشَّمْسِ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي وَبالْعِرَاقِ نَهَارِي. »[3]

14 . المقامة الصَّيْمريّة :

في قوله : « كُنْتُ عِنْدَهُمْ أَعْقَلَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَبَّاسٍ .وَأَظْرَفَ مِنْ أَبِي نُواسٍ، وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ، وَأَشْجَعَ مِنْ عَمْرو، وَأَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ وَأَدْهَى مِنْ قَصِيرٍ، وَأَشْعَرَ مِنْ جَرِير وَأَعْذَبَ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ، وَأَطْيَبَ مِنَ العَافِيةِ.» [4]

15 . المقامة الشعريّة :

في قوله : « كُنْتُ بِبِلادِ الشَّامِ، وَانْضَمَّ إِلَيَّ رِفْقَةٌ، فَاجْتَمَعْنا ذَاتَ يَوْم فِي حَلْقَةٍ، فَجَعَلْنا نَتَذَاكَرُ الشِّعْرَ فَنُورِدُ أَبْيَاتَ مَعَانِيهِ، وَنَتَحاجى بِمَعَامِيهِ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَيْنَا فَتًى يَسْمَعُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ ...فَقَال : عَرِّفُونِي أَيُّ بَيْتٍ شَطْرُهُ يَرْفَعُ وَشَطْرُهُ يَدْفَعُ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ يَصْفَعُ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ يَغْضَبُ، وَنِصْفُهُ يَلْعَبُ؟... »[5]

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص210 .
[2] – المصدر نفسه ، ص211 .
[3] – المصدر نفسه ، ص212 .
[4] – المصدر نفسه ، ص216 .
[5] – المصدر نفسه ، ص230 .

إلى قوله : « قالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَعَلِمْنَا أَنَّ المِسَائِلَ، لَيْسَتْ عَواطِلَ وَاجْتَهَدْنَا، فَبَعْضَها وَجَدْنا، وَبَعْضَها اسْتَفَدْنا. »[1]

16 . المقامة المَطْلَبِيَّة :

في قوله : « هَلْ تَرَوْنَ المالَ إلاَّ عِنْدَ البُخَلاَءِ، دُوَنَ الكُرَماءِ، وَالجُهَّالِ دُونَ العُلَمَاءِ؟ إِيَّاكُمْ وَالانْخِدَاعَ فَلَيْسَ الفَخْرُ إلاَّ في إِحْدَى الجِهَتَيْنِ، وَلا التَّقَدُّمُ إلاَّ بِإِحْدَى القِسْمَتَيْنِ: إِمَّا نَسَبٌ شَرِيفٌ، أَوْ عِلْمٌ مُنِيفٌ، وَأَكْرِمْ بِشَيءٍ يُحْمَلُ عَلى الرُّؤُوسِ حَامِلُهُ، وَلا يَيْأَسُ مِنْهُ آمِلُهُ. »[2]

وهذه المواضع التي أجملناها هي على سبيل التمثيل ، وليست على سبيل الحصر والتفصيل.

المبحث الثاني : دلالات تطبيق المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني.

لقد تفطّن الكتاب الأدباء والبلغاء الفصحاء إلى أنّ الغاية الأولى التي أنشِئت من أجلها المقامة هي الغاية التعليميّة ، ويُعنى بهذه الغاية تعليم الناشئة والمبتدئين ألفاظ العربية وتراكيبها الغامضة ، وطريقة استعمالها. ومن يقرأ مقامات الهمذاني ويطّلع عليها ، يجد الصّنعة باديّة ظاهرة فيها.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنّ المقامة هي مثال لتولّد الأنواع الأدبيّة من بعضها البعض وتطوّرها عنها، فهي متطورة عن فن الأرجوزة الذي شاع في العصر الأموي والأراجيز ارتبطت بغاية تعليميّة، شأنها شأن المقامة والغاية منهما : تعليم الناشئة والموالي غريب اللغة وعويص تراكيبها.[3]

وتتجلّى هذه الخصيصة التعليميّة في المقامات إذا علمنا أنّ الهمذاني كان « يتفهّم مسالك اللغة الوعرة ، متعمّدا اصطياد شوارد الألفاظ ، مترصّدا الزخارف اللفظية ، موفّرا الصور البيانية ، مبتكرا المحسنات البديعية ، عاكفا على العبارات عكوف حاذق يحصي حركاتها موازنا في ذلك بين العبارات وسابقتها ، دون كلل أو ملل. »[4]

وهذا يدل على أنّ الهمذاني كانت له مقدرة لغويّة فائقة ، وأساليب رائقة جعلته يُحْكِم التلاعب بالألفاظ ويسلك بها المسلك الذي يبتغيه ويرضاه لنفسه ، ويرتضيه له عصره « فالرجل يملك الثروة اللغويّة الثريّة بكل إمكاناتها ، مع موهبة متفرّدة يغذّيها خيال خصب وعاطفة متأجّجة كلّ ذلك خلق إبداع بديع الزمان. »[5]

---

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص234 .

[2] – المصدر نفسه ، ص252 .

[3] – تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط8 ، (د.ت)، ص13 .

[4] – الفكاهة في النثر العباسي ، علي عزيز صالح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص220 .

[5] – ديوان بديع الزمان الهمذاني ، تح: يسري عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان (د.ت) ص24.والكلام للمحقق في المقدمة.

ومن يعرف الهمذاني وما أوتي له من سرعة الحفظ ، وحضور البديهة في التأليف ،لا يستغرب ذلك فقد « كتب مقاماته لغرض التعليم و استعمل ألفاظا قليلة الاستعمال والاستعارات والكنايات والمحسّنات اللفظيّة والمعنوية أيضا. »[1]

وكان الهمذاني مشغوفا بأشكال الصنعة البلاغيّة التي جعلت من مقاماته « أشبه ما تكون بحديقة تضمّ أنواعا من الأزهار اختلفت ألوانها، وتعدّدت روائحها منتظمة في أنساق مختلفة تخلب لبّ الناظر إليها ، وتعرّفه كيفية التنسيق. »[2]

وهذا الوصف يصدق بحقّ في وصف الهمذاني ومقاماته، فالكثير يستطيع قطف الأزهار ووضعها في الحديقة ولكن هذا الكثير لا يحسن القطف ، ولا يحسن ترتيب وتنظيم المقطوف . وبتعبير آخر : كل كاتب قد يختار ألفاظا وعبارات لكتابه ، وينتقي أساليب لموضوعاته ، ولكن ليس كل كاتب يحسن انتقاء الألفاظ واختيارها فنظم الألفاظ وحسن رصفها لا يكون إلاّ لمن أوتي موهبة عجيبة ، وفطنة غريبة من الله تعالى .

ولذلك كانت مقامات الهمذاني المعلّم لمن يرجو إتقان الأسلوب من الناشئة ، بل أصبحت « أساليبه الكلاميّة في مقاماته معينا لا ينضب لغيره من الأدباء ممّن عمل على إنشاء مقامات مماثلة لمقاماته ، سار في نهجه على هديها بسبب أسلوبه المشرق وعمله الرائد ، فأصبحت نموذجا احتذاه المقاميّون فمنهم من اعتسف وأخفق ومنهم من رفرف وحلّق. »[3]

إذن الجانب التعليمي المهمّ والأساسي لمقامات الهمذاني هو تعليم الناشئة والمبتدئين وحتى الأدباء أساليب الإنشاء والتعبير ، والتعرّف على ألفاظ العربيّة الغريبة والحوشيّة. وهذا الجانب يتعلّق بمقامات بديع الزمان كلّها ولا تخلو منه مقامة ، لكنّ الباحثة في هذا البحث ستوضّح جوانب أخرى للمنهج التعليمي الذي اتّبعه الهمذاني من خلال تحليل تلك المواضع المنتقاة في المبحث الأوّل من هذا الفصل ومناقشتها بما تيسّر من تعليل وتدليل أوتفصيل وتمثيل. وذلك من خلال ما يأتي :

1 ـ المقامة القريضيّة :

في هذه المقامة يحكي بديع الزمان على لسان راويته عيسى بن هشام أنّهم كانوا جماعة يتذاكرون الشعر وأهله وجلس بالقرب منهم شاب ، وهذا الشاب هو بطله أبو الفتح الإسكندري الذي يجيد ابتكار الحيل ، والتلوّن في مختلف المواقف، لاستمالة الناس والظفر بأموالهم.

وكان هذا الفتى يجلس بالقرب منهم وبدأ ينصت إليهم ، وظهر لهم أنّه يفهم ما يقولونه لكن لما رأوه صامتا ظنّوه لا يعلم شيئا، وهذا دليل على أنّ المتعلّم لابدّ له من الصمت ليفهم ثمّ نطق الفتى وأخبرهم بأفضل ما عنده

[1] – المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي الحريري والحميدي خصوصا ، فرح ناز علي صفدر ، دون ذكر دار نشر وتاريخه ص321 .

[2] – الفكاهة في النثر العباسي ، ص219 .

[3] – المرجع نفسه ، ص220 .

من الشعر ومن أخبار بعض الشعراء ، بل تحدّاهم أن يسألوه عن أيّ شيء فسيجيبهم ويعجبهم ، فبادروا بسؤاله عن جملة من الشعراء وهو يجيبهم.

فسألوه عن امرئ القيس وهو: « امرؤ القيس بن حجر الكندي ، وهو من أهل نجد من الطبقة الأولى »[1] فأجابهم أنّه أوّل من وقف بالديار وعرصاتها ، وهذه إشارة إلى أنّه أوّل من وقف بديار الأحبّة وبكى الأطلال في قوله :[2]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَين الدَّخُول فَحَوْمَلِ

وأضاف : أنّه اغتدى والطّير في وكناتها ووصف الخيل بصفاتها ، إشارة إلى قوله:[3]

وقَدْ أَغْتَدِي والطَّيرُ في وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِـــــــدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعـــاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِ

ثمّ سألوه عن شعراء أُخَر من شعراء الجاهلية و هم :النابغة وزهير و طرفة ؛ وأمّا النابغة فهو: « زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة ، ويقال : أبا ثمامة...ويقال : كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا، كان شعره كلاما ليس فيه تكلف. »[4]

وأمّا زهير فهو: زهير بن ربيعة بن قُرط . ونسبه إلى غطفان وإن كان البعض ينسبه إلى مزينة ، ولم يتّصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية كما اتصل في ولده .وكان عمر بن الخطاب يقول : أنشدوني لأشعر شعرائكم ، قيل : ومن هو؟ قال زهير.[5]

وأمّا طرفة فهو: « طرفة بن العبد بن سفيان ، وهو أجودهم طويلة وهو القائل : لخولة أطلال ببرقة ثهمد وله بعدها شعر حسن ، وليس للرواة من شعره وشعر عبيد إلاّ القليل . وكان في حسب من قومه جريئا على هجائهم وهجاء غيرهم. »[6]

---

[1] – الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) ، ج1 ، ص105 .

[2] – ديوان امرئ القيس ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، (د.ت) ، ص8 . والسقط هو ما تساقط من الرمل . واللّوى: حيث يستَرِقّ الرمل. والدخول وحومل : موضعان . وهذا البيت مطلع معلقة امرئ القيس.

[3] – شرح المعلّقات العشر المذهبات ، ابن الخطيب التبريزي ، تح : عمر فاروق الطبّاع ،دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ،لبنان (د.ت) ، ص58 . وكناتها:وكراتها. ومنجرد : قصير الشعر .وقيد الأوابد :الوحوش. والهيكل الضخم . ومكر: يصلح للكرّ. مفر مقبل :حسن الإقبال. مدبر: حسن الإدبار. حطه السيل: حَدَرَه. وهو هنا يصف سرعة الفرس بسرعة الصخرة التي حطّها السيل من المنحدر.

[4] – الشعر و الشعراء ، ج1 ، ص157 .

[5] – ينظر : المرجع نفسه ، ج1 ، ص137 .

[6] – المرجع نفسه ، ج1 ، ص185 . وقوله : لخولة أطلال ببرقة ثهمد. هذا صدر البيت في مطلع معلّقة طرفة وعجزه : تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد.

وهؤلاء الشعراء الذين سألوه عنهم كانوا جميعا من شعراء المعلّقات الطّوال وشعرهم من عيون الشعر الجاهلي .

ثمّ سألوه عن الفرزدق وجرير؛أمّا الفرزدق فهو: هَمَّام بن غالب بن صعصعة ، وجدّه هذا كان عظيم القدر في الجاهلية وكان يشبّه بزهير وتوفي سنة (110 هـ).[1] وأمّا جرير فهو: جرير بن عطيّة بن حذيفة الخطفي، وكنيته : أبو حَزْرَة كان من أحسن النّاس تشبيبا ، ومن أشدّهم هجاء ، وتوفي في السنة نفسها التي توفي فيها الفرزدق.[2]

وكان الفتى يجيبهم عن الفرزدق وجرير بأنّ جريراً يمتاز شعره بالرّقّة ، لكنّ هجاءه أوجع من هجاء الفرزدق وأمّا الفرزدق فأكثر فخراً من جرير لكثرة أجداده فهو يفاخر بهم وبكرمهم.وهو أكثر رصانة ومتانة في اللفظ وهذا ما ذكره الهمذاني بقوله : أمتن صخراً ،وفي هذا تلميح للمقولة : « جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر.»[3]

ثمّ سألوا الفتى عن الشعراء المتقدّمين و المتأخرين فأثنى عليهما معا لكنّه انتصر للمتقدمين ؛ فالمتقدّمون لهم شرف اللفظ ووفرة المعاني ، أمّا المتأخّرون فلهم لطف الصنعة ورقّة النّسج.

ألاحظ أنّ الهمذاني أورد الكثير من الآراء النقدية ، « وهذا لون آخر من النقد الأدبي لا نشك في أنّ الغاية منه تعليمية »[4]، لأنّ بديع الزمان كان حريصا على أن يعرض الآراء النقدية المتداولة بين النقاد والأدباء حول كل شاعر يذكره . فالمتعلّم الذي لم يكن يعرف أولئك الشعراء ، ولم يطّلع على الآراء النقديّة حولهم ، فمن خلال هذه المقامة يتعلّم كل هذا الزّخم الثرّ من الآراء ، ويتعرّف على هذا العدد الهائل من الشعراء.

وقد استخدم الهمذاني منهجاً ماتعاً في التعليم وهو طريقة الحوار ؛ فكان التعرّف على الشاعر يتمّ من خلال السؤال عنه ، ثمّ الإجابة عن ذلك السؤال، وبهذا يتم الحوار ، وهذه الطريقة من أقدم الطرق المستخدمة في التعليم لأنّها تثير الدافعيّة لدى المتعلّم ، وتعمل على تبادل الأفكار ، وترسيخ المعلومات بالإقناع، وكان الحوار ولا يزال من أساسيات التعليم الباقيّة ، ومن أساليب التواصل الراقيّة.

2 ـ المقامة البَلْخِيّة :

هذه المقامة نسبة إلى مدينة بلْخ ، « وبلخ من أجلّ مدن خرسان وأذكَرها ، وأكثرها خيرا وأوسعها غلّة. »[5] لذلك نجد الهمذاني في صدر هذه المقامة خصّ هذه المدينة بالمتاجرة فيها واختار تجارة الثياب ، وذكر أنّه أنّه وردها وهو في عنفوان شبابه ، وراحة باله ، وخلوّ همّه وكثرة ثروته.

---

[1] – ينظر : الشعر والشعراء ، ج1 ، ص471 .

[2] – ينظر : المرجع نفسه. ج1 ، ص464 .

[3] – البيان و التبيين ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط7 ، 1418هـ/1998 م ، ج2 ، ص273 . والمقولة قالها مالك بن الأخطل التغلبي لما سئل عن الفرزدق وجرير وعن أيّهما أشعر؟

[4] – فن المقامات بين المشرق والمغرب ، ص97 .

[5] – معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تح: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج1 ص568 .

لكنّه لم يجئ إلاّ للبحث عن مهرة فكر يستقيدها أو شرود كلم يصيدها ، وأراد بذلك « أنّ الفكرة بنت العلم وعليها يسبق صاحبها إلى المعالي إذا انقادت له وتيسّرت. وشرود الكلم ما لا يألف الألسنة منها إلا في مقاول الخاصّة من النّاس لنفاسته وعلوّ معناه ، فلا تحفظه أذهان العامّة ، فكأنّه الحيوان الشرود النفور، وصيدها تناولها بالحفظ والكتابة، والمراد بالكلم الجمل المفيدة لا الكلمات »[1]

إذن قَصَد الهمذاني ـ على لسان راويته ـ مدينة بلخ من أجل العلم يتصيّدُه ، وهو لا يريد علما تشاركه فيه عامة النّاس ، وإنّما يبحث عن علم متفرّد لا تتقنه إلاّ الخاصّة ، وشبّه هذا العلم بالأنثى من ولد الفرس تنفر وتفرّ ويصعب انقيادها. وهكذا العلم النفيس لا بدّ لصاحبه أن يتصيّده بالكتابة . وهذا يوافق قول الشاعر(من الكامل):[2]

العلم صيد والكتابـــــة قيده قيّد صيودك بالحبال الموثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها في البرايا طالقـــــة

« ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها ، وخلّدت من فنون حكمها ، ودوّنت من أنواع سيّرها حتى شاهدنا بذلك ما غاب عنا ، وأدركنا ما بعد منّا ، وجمعنا إلى كثيرهم قليلنا وإلى جليلهم يسيرنا ، وعرفنا ما لم نكن لنعرفه إلاّ بهم ، وبلغنا الأمد الأقصى بقريب رسومهم إذن لحسر طلاب الحكمة وانقطع سببهم عن المعرفة. »[3]

لأنّ الذاكرة قد تسعف المرء أحياناً ، و قد لا تسعفه أحاين أخرى ، « ولو أَلْجَئْنَا إلى مدى قوّتنا، ومبلغ ما تقدر على حفظه خواطرنا وتركنا مع منتهى تجارتنا لما أدركته حواسنا وشاهدته نفوسنا ؛ لقلّت المعرفة وقصرت الهمّة ، وضعفت المنّة ، وماتت الخواطر، وتبلّد العقل ونقص العلم. »[4]

أفهم من هذا أنّه لولا تقييد العلم بالكتابة لضاع علم كثير،ولما وصلنا علم الأوّلين ، ولما انتهت إلينا أخبار الماضين ، من كتب ودواوين.

3 ـ المقامة السّجستانيّة :

وهذه المقامة نسبة إلى بلدة سجستان وهي « ناحية كبيرة ، وولاية واسعة ... أرضها كلها رملة سبخة [5] والرياح فيها لا تسكن أبدا ، ولا تزال شديدة تدير رحيّهم ، وطحنهم كله على تلك الرحى ...وهي أرض سهلة لا يُرى فيها جبل.»[6]

---

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص18 . والكلام للشارح في الهامش.

[2] – البيتان ينسبان للإمام الشافعي ، لكن لم أعثر عليهما في ديوانه في النسخة الالكترونية التي أصدرتها دار الغد العربي بالقاهرة.

[3] – تقييد العلم ، ص155 .

[4] – المرجع نفسه ، ص155 .

[5] – سبخة : منطقة مستنقعية لا تصلح للزراعة.

[6] – معجم البلدان ، ج3 ، ص214 .

يظل بديع الزمان في رحلة مقاماته ، وهذه المرة يحطّ الرحال في سجستان، وفي المقتطفات التي أوردناها حول هذه المقامة حكى الهمذاني أنّه كانت له حاجة في سجستان ولما ذهب إلى السوق التقى برجل في السوق وهو يقول : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فسأعرّفه بنفسي ، وبدأ يعرّف بنفسه فقال لهم : إذا أردتم أن تعرفوني فاسألوا عني.

ومن بين ما ذكر العلوم ومواطنها ، وفي هذا دلالة على أنّ العلوم كانت ذا شأن ومواطنها معروفة معلومة.

واعتمد الهمذاني على أسلوب المحاورة التي تعتمد على السؤال والجواب ، فكان يجعل الرجل يطرح أسئلة ثمّ يجيب في الآن نفسه.

4 ـ المقامة الغَيْلَانِيَّة :

وهذه المقامة نسبة إلى الشاعر غَيْلَان بن عقبة بن بُهَيْش ، وهو الشاعر المعروف بذي الرُّمَّة ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبته ميّة بنت فلان[1] بن طلبة ، وسُمّي بذلك لقوله في الوتد:[2]

لـــم يبق منهـا أبد الأبيد غير ثلاث ماثلات سود

وغير مرضوخ القفا موتود أشعث باقي رمّة التقليد

وفي المقتطف الذي أوردناه من هذه المقامة قال : ومعنا أخو العرب حفظا ورواية ؛ وهذا يلفت انتباهنا إلى أنّ التعلّم كان يتم بالحفظ والرواية ، وكان العرب قديما يعلون من شأن الحفظ ويرفعون من قدره ، ويفضّلونه على الكتابة ، لأنّ الاتكال على الكتابة « يؤدّي إلى اضطراب الحفظ حتى يكاد يبطل ، وإذا عدم الكتاب قوي لذلك الحفظ الذي يصحب الإنسان في كل مكان.»[3]

وكان الهمذاني في هذه المقامة يذكر أسماء بعض الشعراء ، وشيئا من شعرهم ، وما دار بينهم وبين خصومهم وكانوا من الشعراء المعدودين المشتهرين في عصورهم، ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر ذو الرمة الذي سُمّيت المقامة باسمه ؛ فقد أكثر عنه الحديث ومن بين ما وصفه به أنّه كان زهيد الأكل ، وذكر ما دار بينه وبين الفرزدق من مهاجاة.

من خلال هذا حرص الهمذاني على تبيين دور الحفظ والرواية في تحصيل العلم ؛ لأنّه بفضلهما ذكر لنا أخبار أولئك الشعراء وما حدث بينهم من طرائف وخصومات ، والإكثار من ذكر الشعراء وأخبارهم إنّما يفضي إلى غاية تعليمية دون شك.

---

[1] – ذكَر محقّق كتاب الشعر والشعر أنّ المؤلف ذكر بنت فلان لأنه قد يكون نسي اسم أبيها .

[2] – الشعر و الشعراء ، ج1 ، ص524.

[3] – تقييد العلم ، ص62 .

5 ـ المقامة الأصفهانيّة:

وهذه المقامة نسبة إلى أصفهان وهي: « مدينة من مدن إيران ، وكانت دار سلطنتها قبل أن تصير طهران عاصمة المملكة ، ويقال أصبهان بالباء الموحدة »[1] . وهي: « مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حدّ الاقتصاد إلى غاية الإسراف »[2] وفي هذا دليل على شهرة هذه المدينة.

وفي هذه المقامة يروي الهمذاني قصة طريفة ؛ فبينا عيسى بن هشام وهو عازم على الخروج من أصفهان إذْ نودي للصلاة ، فاحتار هل يختار الرحلة والقافلة ، أم يختار إجابة الصلاة ، وكثيرا ما يتعرّض الإنسان لمثل هذه المواقف في حياته اليوميّة ، حينما تتعارض الحاجات اليومية بأوقات الصلاة.

وهنا اختار عيسى بن هشام إجابة نداء الصلاة ، ولكنّه تعرّض لموقف طريف آخر في المقتطف الثاني الذي أوردناه من هذه المقامة وهو أنّ الإمام أطال الصلاة وقرأ بقراءة حمزة [3] وتزداد الطرافة عندما فرغ عيسى بن هشام من الصلاة وهمّ بالرحيل جاء رجل آخر ووقف واعظا وأخبرهم أنّه لن يلزم مكانه إلا من كان يحبّ الرسول وصحابته.

ثمّ بدأ يحدّثهم أنّه رأى الرّسول في المنام ، وبدأ يصفه بصفاته ؛ فهو كالبدر في الليلة المقمرة ، وهو كالشمس و كالنجوم...وبعد ذلك أخبرهم أنّ الرسول أمره أن يعلّمهم دعاء.وهذا كله من أجل جمع المال.

من خلال ما سبق نخلص إلى أمرين ، الأوّل: أنّهم في القديم كانوا يستعينون بالصلاة وبركتها ولا سيّما المتعلّمين ، والآخر: الحرص على تعلّم سيرة الرسول وكل ما يصدر عنه بما في ذلك الدعاء.

ومن خلال هذه القصّة يتبيّن أنّ الهمذاني أوتي « موهبة فذّة فريدة في القدرة على السخريّة والإضحاك ، وانتزاع البسمة من الشفاه الصلبة المتقلّصة والوجوه الكليمة العابسة. »[4] وهذا من الوسائل التعليمية للنثر الفكاهي في هذه الحقبة من العصر العباسي ، وهو: « تهيئة صيّغ وأساليب كلاميّة بأسلوب فكه ضاحك تساعد على التعليم والإرشاد ، بمعنى إنّها تعطي استخدامات تركيبية جاهزة أو مفردات لغويّة ، تمكن المتلقي من أن يفيد منها في إنشاءاته أوما يرسله من كلام مباشر.»[5]

---

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص56 . والكلام للشارح في الهامش.

[2] – معجم البلدان ، ج1 ، ص244 .

[3] – هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي ، ويعرف بالزيّات. وهو أحد الأئمّة السبعة ، وهو إمام الناس بالكوفة. توفي سنة 156 هـ.

[4] – ديوان بديع الزمان الهمذاني ، ص24 . والكلام في المقدّمة للمحقق.

[5] – الفكاهة في النثر العباسي ، ص219 .

إنّ التعليم بالفكاهة من أنجع أساليب التعليم ، لأنّ المعلومة التي ترسخ في ذهن المتعلّم هي تلك المعلومة التي يتلقّاها في فرح ومرح ، وفي حال كونه في أريحيّة ؛ فهي تلامس شغاف قلبه دونما إذْن وتتغلغل فيه وتتجذّر ويصعب نسيانها .

ولذلك أصبح للنثر الفكاهي دور تعليمي كبير ، وله غايات مهمّة ؛وهذا الدور « أعطى للأدب بشكل عام اليد الطولى في فرض موضوعاته التي عكست صورة المجتمع العباسي في تلك الحقبة بوضع الحلول لبعض مشاكله بالنقد والتوجيه. »[1]

وهنا يمكن القول : إنّ الهمذاني وضع منهجاً جديداً، وطريقاً سديداً في التعليم ،وهو التعليم بواسطة الفكاهة.

6 ـ المقامة الأهوازية :

هي نسبة إلى الأهواز ، و الأهواز « آخره زاي ، و هي جمع هَوْز ، و أصله حوز فلما كثر استعمال الفُرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة ... و سوق الأهواز تخترقها مياه مختلفة منها الوادي الأعظم . »[2]

في هذا الجزء من هذه المقامة التي وقعت أحداثها في الأهواز يقص عيسى بن هشام عن حالهم و كيف أنهم كانوا عازمين على اللهو فجاءهم رجل يعظهم ؛ فبدأ يذكرهم بالله وأنه يعلم الأسرار ، و هو يعامل عباده بحلم و يقضي بين عباده بعلم . و نبّههم إلى الموت ودعاهم إلى تذكره لأن ذلك حافزاً على ترك الذنوب و المنكرات وظَلَّ على هذا النحو يعظهم إلى نهاية المقامة.

و يمكن القول : إنّ الوعظ و تعليم الأخلاق كان من صميم التعليم و منهجه قديما و لا يزال حديثا؛ فالمعلّم والمتعلّم كلاهما مطالب بتعلّم الأخلاق أولا و قبل كل شيء.

7 ـ المقامة الجاحظيّة :

و هذه المقامة نسبة إلى الجاحظ ،و هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان ، و لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه و يلقب أيضا بالحدقي ، و كان له من الذكاء و سرعة الخاطر والحفظ حتى شاع ذكره و استغنى عن الوصف أخذ الفصاحة من العرب شفاها بالمربد .

و كان يكتري حوانيت الوراقين و يبيت فيها ، و كان واسع العلم بالكلام كثير التبحر فيه، و هو عظيم القدر في المعتزلة و غير المعتزلة من العلماء ، وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائتين وله كتب مشهورة في الدين والأخلاق و الجد و الهزل ، من أحسنها وأمتعها : كتاب الحيوان ، و كتاب البيان و التبيين .[3]

---

[1] – الفكاهة في النثر العباسي ، ص220 .

[2] – معجم البلدان ، ج 1 ، ص 339 .

[3] – ينظر : معجم الأدباء ، ج5 ، ص 2101 . و ينظر : وفيات الأعيان ، ج3 ، ص 470 .

في هذه المقامة في شِقّها الأول يصف بديع الزمان ـ على لسان عيسى بن هشام ـ الجاحظ بالفصاحة و يعلي من شأنه حتى قال : لكل زمان جاحظ ، لكنّه في الشق الآخر من المقامة نجده ينتقد الجاحظ بأنه يقطف من أحد شقي البلاغة ، إلا أنه يقف في الشق الآخر ، و هو يقصد بذلك أن الجاحظ برع في النثر و لم يبرع في الشعر ، و يسأل هل للجاحظ شعرا رائعا ، فيجاب بلا .

ثم واصل نقده للجاحظ بأنّ كلامه قليل الاستعارات قريب العبارات ، و هذا يدل على أن الجاحظ يستخدم الكلام المباشر البعيد عن الغرابة و الحوشيّة ، و يرى أنه لا يستخدم الألفاظ المصنوعة و إنما يكتفي بالمسموعة .

فهو « يعيب على الجاحظ نفوره من التصنيع و التصنع ، و جنوحه إلى الاسترسال والسهولة ، غير أن اختيار بديع الزمان للجاحظ كنموذج ينقد من خلاله أساليب القدماء لم يحالفه التوفيق لأن الجاحظ قمة في ذاته و هو نسيج وحده و أسلوبه لا يعتبر ممثلا لطرائق القدماء . »[1]

أرى أن بديع الزمان كان في عصر يتخذ غريب الكلام و التصنع في الألفاظ معيارا للفصاحة ، و هذا لم يكن المعيار في عصر الجاحظ ، لذلك فهذا النقد في حد ذاته يفتقر إلى المعيار الموحد الذي لا يصلح لكل عصر ، وإن كان الجاحظ « يستعمل عريان الكلام وينفر من الاستعارات والكلمات العويصة فذلك حقّه . ولعل أدبه بهذه الخصائص نفسها يفوق أدب البديع ومعاصريه »[2]

و اعتمد الجاحظ على أسلوب الاسترسال « لأن عمق القضايا التي تناولها و كثرتها لا يسمحان له بصرف ذهنه و إعماله في الصنعة و التصنع ، و انتصار مذهب الصنعة في القرن الرابع لا يعني نهاية مذهب الجاحظ لأنه انتصار وقتي ، و لكن سرعان ما ارتدوا مرة أخرى لطريقة الجاحظ . » [3]

و الأمر الذي عيب على الجاحظ هو استطراده بخروجه عن الموضوع لكنّ الجاحظ برّر هذه الظاهرة « بجعلها وسيلة تعليمية تنفي الملل عن قارئ كتبه بواسطة تنوع الموضوعات لأن الرتابة من شأنها إملال القارئ . »[4]

و معنى ذلك لو كان القارئ يقرأ في موضوع واحد لأصابه الملل و الكلل، ولكنّه لو انتقل من فن لآخر يختلف عنه لوجد راحة في النفس و هذا مما يساعد على التعلم .

و أستفيد من هذه المقامة أمرين أساسيين لهما دور كبير في التعليم ؛ الأول : أنّنا نتعلم كثيرا من نقد الهمذاني للجاحظ و تبيين ما له و ما عليه ، و الثاني : ذكر الشخصيات التي لها باع في التأليف في شتى المجالات و ما نتعلمه منها.

---

[1] – فن المقامات بين المشرق و المغرب ، ص 96 .

[2] – المقامة ، ص27 .

[3] – فن المقامات بين المشرق و المغرب ، ص 96 .

[4] –كتاب التاج في أخلاق الملوك ، الجاحظ ، تح : عمر الطباع ، دار الأرقم ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص41 . و الكلام للمحقق في مقدّمة الكتاب .

8 ـ المقامة المارستانية :

و هي نسبة إلى مارستان ، و المارستان هو: « موضع ما يعالج المجانين »[1] ، و هذه المقامة خصها الكاتب للمتكلمين ، و المتكلم هو: « الناظر في علوم العقائد الدينية ، و فنّها فن الكلام باصطلاح أهلها ، و سمي بذلك لكثرة ما وقع فيه من الجدال.»[2]

وفي هذه المقامة يتطرّق الهمذاني إلى أمور دينيّة ، « ويأخذ جانب أهل السنّة ويشنّ حربا شعواء على خصومهم من المعتزلة... ولعلّ في هذا كلّه ما يشهد بأنّ البديع حمّل مقاماته كثيرا من الجوانب التعليمية. »[3]

و بدأ الهمذاني يرمي هؤلاء المتكلمين بأبشع الأوصاف وأرذل الصفات ؛ فوصفهم بأنّهم أخبث من إبليس وأنّهم يبغضون القرآن والحديث ، والملفت للانتباه أنّه في هذه المقامة من بدايتها إلى نهايتها ذكر أشياء كثيرة عن المتكلّمين ، وكان يقتبس الكثير من الآيات والأحاديث الشريفة.

وفي الجزء الذي أوردناه من هذه المقامة ذكر جملة من الاقتباسات كقوله : ربي بما أغويتني وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ **(39)** ﴾ [4] وقوله: من يضلل الله فلا هادي له اقتباس من قوله تعالى: ﴿ ومن **الْأَعْرَافِ** رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**(46)** ﴾ [5]

وقوله : إذا سمعتم: زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ...»[6]

وعند تتبّع مقامات الهمذاني في مجملها «كثيراً ما يضمّن قوله آية قرآنيّة أو أكثر مقتبساً معناها أو جزءاً منها ودمجه في سائر كلامه ، وإظهاره بشكل قلّ من يوفّق بإخراجه بهذا الشكل الجميل الأنيق فلا يبدو فيه أي تكلف أو عيب يعدّ منقصة. »[7] وهنا تظهر براعة الهمذاني وتحكّمه في الأسلوب بحسن الاقتباس ، دون عيّ أو تصنّع.

---

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص 127 . و الكلام للشارح في الهامش .

[2] – المصدر نفسه ، ص 127 . و الكلام للشارح في الهامش .

[3] – المقامة ، ص28 .

[4] – سورة الحجر ، الآية : [39] .

[5] – سورة الأعراف ، الآية :[186].

[6] – السنن للإمام أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، تح : أبي تراب عادل بن محمد وآخرون ، دار التأصيل ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1436هـ/2015م ، ج6 ، ص418 . والمقصود بالانزواء: التجمع والتقبّض ، وبالكنزين الأحمر:هو الذهب وهو ملك الشام والأبيض : الفضة وهي ملك فارس ، والمقصود بالسنة :القحط. والحديث طويل.

[7] – الفكاهة في النثر العباسي ، ص238 .

ولا شكّ في أنّ الهمذاني في العديد من مقاماته تعمّد الاقتباس من آي الذكر الحكيم ومن الحديث الشريف لِمَا تضيفه للمتعلّم ، ولِمَا لتعلّمها من أولويّة ؛ فالقرآن و الحديث لهما فضل السبق في التعلّم عندهم؛ فالمتعلّم قديماً كان لا بدّ أن يسبق في التعلّم بتعلّم القرآن والسنّة .

9 ـ المقامة الوعظيّة :

هذه المقامة من بدايتها إلى نهايتها وعظ وتذكير ، و نصح وإرشاد ؛ فيها تذكير بعلّة الخلق ووجود الناس في هذه الدنيا ، وتحذير من الانغماس في ملذاتها وأنّها جسر للعبور وتذكير بالموت والآخرة ، وأنّ الآخرة هي دار القرار. « ويبدو بديع الزمان في مقاماته الوعظية متديّناً كلّ التديّن عندما يجعل بطله أبا الفتح الإسكندري يوصي واعظاً المسلمين بالعمل من أجل الآخرة ومحذّرا من الدّنيا ومكايدها وزينتها »[1]

وهذا يندرج ضمن تعلّم الأخلاق ، وفي مقامات الهمذاني كثير من الوعظ في هذه المقامة وفي غيرها من المقامات كالمقامة الأهوانيّة ، والمقامة القزوينية وغيرهما. « ولم يكن الهمذاني ليغفل عن هذه الظاهرة الهامّة في المجتمع الإسلامي ذلك أنّ كثيرا من الإصلاح تمّ تحقيقه من خلال تلك الظاهرة. »[2]

ولم أعرض المقامة الوعظيّة كلّها وإنّما عرضتُ ما ذكره تحديداً حول العلم؛ فبيّن أنّ العلم أحسن من الجهل فالعلم أحسن على علّاته أيّ هو أحسن بالرغم ما في تحصيله من مشاقّ وما ينال طالبه من جهد ودرك للشقاء كهجر النوم ومتاعب السفر، والجهل أقبح على حالاته لما عليه حال صاحبه من دعة وكسل وراحة ، ولكنّها لا تعدو راحة إلّا كما قال المتنبي(من الكامل):[3]

ذو العقل يشقى في النّعيم بعقله وأخو الجهالة في الشّقاوة ينعمُ

وذكر أنّ الناس بأئمّتهم ، أيّ إنّ الناس بعلمائهم ؛ فإن اقتفوا أثرهم واهتدوا بنهجهم نجوا ونجوا جميعا ، وإن أجحفوهم حقّهم وضيّعوا علمهم هلكوا وهلكوا جميعا.

وقَرَن بديع الزمان العلم بالعمل حين قال : زيّنوا العلم بالعمل ؛ فلكي يثمر العلم ويؤتي أكله لابدّ له من عمل يعزّزه ، فلا تظهر قيمة العلم الحقيقية إذا ظلّ حبيس القراطيس ، ولا يستطيع الإنسان أن يعمل عملاً دون أن يكون أخذ عنه قبسة من نور العلم.

أخلصُ من خلال ما أوردته حول هذه المقامة أنّ المتعلّم عليه أن يتّعظ ممّا مرّ عليه في هذه الحياة ، وأن يعلم أنّه مهما تجرّع من غُصص العلم فهي أحلى وأشهى من شهد الجهل إن كان له شهد، وعلى المتعلّم ألّا يعتدّ بعلمه بل عليه أن يرجع للعلماء فهم السّند وعليهم المعتمد ، والعلم والعمل أخوان حبيبان ، فهما توأمان لا يفترقان.

---

[1] – وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنيّة ، رونال توفيق علي النورسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، (د.ت) ، ص110 .

[2] – فن المقامات بين المشرق والمغرب ، ص103 .

[3] – ديوان المتنبي ، ص571 .

10 ـ المقامة العراقيّة :

هذه المقامة نسبة إلى العراق ، وبلدة العراق غنيّة عن التعريف . وفي هذه المقامة يحطّ عيسى بن هشام الرحال في العراق ، ويتصفّح دواوين الشعراء ، فإذا به يرى فتى فيعجب بفصاحته ، فيسأله عن سبب فصاحته وحسن بيانه ، فيقول: العلم.

ولكن كيف هذا العلم ؟ خاض بحاره وراض صعابه ؛ خاض بحاره دلالة على أنّ العلم بحر لا يمكن لأحد أن يُلِمّ به ، ويستوعبه جميعا ، وراض صعابه دلالة على أنّ العلم لا يُنَال بسهولة وإنّما بمشقّة وصبر .

ثمّ بدأ عيسى بن هشام يسأل الفتى عن جملة من الأبيات في كلام العرب ، والفتى يجيبه ، « وهذه الطريقة التعليميّة أفادها بديع الزمان من أسلوب الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير وهي رسالة كتبت بغرض التحدّي والتعليم . »[1] وهذه الطريقة التعليمية ممتعة ومسلية لما فيها من مشاكلة لطريقة الألغاز- كما ذُكِر سابقاً-.

11 ـ المقامة الحمدانيّة :

هذه المقامة نسبة إلى سيف الدولة بن حمدان(ت 357 هـ)، وكان عيسى بن هشام حضر مجلسه ، فعرض عليهم فرسا وطالبهم بوصفه ، ومن يحسن وصفه فهو عطيّة له فأخبروه أنّهم رأوا في السوق رجلا شديد الفصاحة فأمر سيف الدولة بإحضاره.

فلمّا أحضروه : أمره سيف الدولة بوصف ذلك الفرس ، فقال له الرجل : كيف أصفه قبل أن أركبه ، فركبه وأجراه ثمّ بدأ بوصفه ؛ ومن جملة تلك الصفات أنه : طويل الأذنين ، قليل الاثنين ، واسع المراث ، ليّن الثلاث غليظ الأكرع ، غامض الأربع ، شديد النفس.

وشرح بديع الزمان أغلب هذه المعاني في المقامة نفسها ، حين منح سيف الدولة الفرس الرجل ، تبعه عيسى بن هشام وسأله عن معاني تلك العبارات فأجابه : قليل الاثنين أيّ: قليل لحم الوجه ، وغليظ الأربع أيّ:الكتفين والمرفقين و الحاجبين وعظم الرقبة ، وليّن الثلاث أيّ: العنق والعرف والعنان.[2]

والمقامة الحمدانيّة من أكثر المقامات التي تضمّنت « ألفاظا مهملة وحوشيّة غير مسموعة فقد عني فيها بوصف الفرس وكأنّه يؤلّف متناً لغوياً في غريب الفرس لا مقامة أدبيّة ...والحقّ أنّ مقامته كلّها إنّما أراد بها إلى غاية تعليميّة ولذلك حشد فيها هذه الألفاظ الغريبة. »[3]

وهنا يظهر الجانب التعليمي جليّاً في هذه المقامة ؛ إذ كان الهمذاني يتعمّد حشد الألفاظ الغريبة ، ثمّ يَعْمِد إلى شرحها. وهو بذلك أشبه ما كان يقوم به أصحاب المتون اللغويّة على نحو ما فعله قطرب(ت 206 هـ)[4] في مثلّثاته.

---

[1] – فن المقامات بين المشرق و المغرب ، ص99 .

[2] – ينظر : مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص163 .

[3] – المقامة ، ص42 .

[4] – قطرب هو محمد بن المستنير أبو علي البصري أحد تلامذة سيبويه.وهو من لقّبه بذلك توفي سنة206 هـ.

12 ـ المقامة الحلوانيّة :

هذه المقامة نسبة إلى مدينة حُلْوان والحلوان في اللغة الهبة ، وحلوان موضع في عدّة أماكن من أشهرها حلوان العراق وهي تلي الجبال من بغداد، وهي مدينة كبيرة وعامرة ودائما يسقط الثلج في أعاليها.[1]

وفيما أوردناه في هذه المقامة ذكر بديع الزمان أنّ المبرّد في النحو حديد الموسى وهو هنا يعرّض ويكنّي عن مدى شهرة المبرّد في النحو. والمبرد هو محمد بن يزيد أبو العبّاس الأزدي البصري النحوي اللغوي الأديب ، كان إمام العربية ببغداد ، كان حسن المحاضرة حسن العبارة ، حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ، كان راوية ثقة كثير النوادر ذو لطافة وظرافة ، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين. من أشهر كتبه الكامل و المقتضب.[2]

وهنا نرى أنّ بديع الزمان يصرّ على ذكر الشخصيات التي لها باع في اللغة والأدب ويستشهد لها ، ويعلي من قدرها ، وهذه منهجيّة تعليمية ناجحة ، في ترسيخ العلم لدى المتعلمين.

13 ـ المقامة العلميّة :

وهذه المقامة هي الجوهر الصميم ولب اللباب في المنهج التعليمي عند الهمذاني ، فهي نسبة للعلم ، وما يلفت الانتباه أنّ بديع الزمان لم يذكر بلداً بعينه في هذه المقامة واكتفى بالقول : كنت في بعض مطارح الغربة ، وهذا يدلّ على أنّ العلم أساس كلّ شيء ، ويحتاج إليه كل إنسان ، ولا يحدّه زمكان.

وفحوى هذه المقامة إجابة عن السؤال : بم أدركت العلم؟ وفي هذه الإجابة « يصف لطالب العلم طريقه الصعب ، وما ينبغي أن يستعين به عليه حتى يحصل على مرامه منه فلا بدّ له من الدّأب و الحفظ والدّرس والفهم والتحقيق والتعليق حتى يفتق سمعه وحتى يتغلغل العلم إلى صدره »[3]

إذن تتضمّن المقامة فكرة أساسيّة تتعلّق بالمنهج العويص العسير لتحصيل العلم ؛فهو بعيد المرام أي بعيد المطلب والغاية ، ولا يصطاد بالسهام فهو ليس فريسة تجوب الفيافي إذا تعبت قنصها الصياد ، فلا تنفع القوّة البدنيّة في تحصيله ، ولا يقسم بالأزلام ؛ فالعلم ليس ضربة حظّ ، ولا تنفع فيه الرؤى والأحلام ، ممّا يُرى في المنام وهو ليس كالمال يورث عن الآباء والأجداد.

والعلم لا يحصل إلّا بالمشقّة والجهد ، يحصل بافتراش المدر أي الطين ؛ فطالب العلم يرضى بشظف العيش ؛ فراشه الأرض ووسادته الحجر، وهو مع ذلك لا يتضجّر ، ولا يصيبه الملل ولا الكلل ، من كثرة السفر في سبيل طلب العلم فالسفر طريقه مشوك و محفوف بالمخاطر، وقد يقود للهلاك والمقابر، وكل ذلك يهون من أجل جَنْي الدّرر والجواهر ، المكنونة في العلم.

---

[1]- ينظر : معجم البلدان ، ج2 ، ص334 .

[2] - ينظر : معجم الأدباء ، ج6 ، ص2678 .

[3]- المقامة ، ص28 .

ولا بدّ من إعمال الفكر وكثرة النّظر، فالعلم لا يصلح إلا للغرس ولا يغرس إلّا في النفس ومعنى ذلك : « لو بذل فيه كل الوسع لم يمكن أن يُنال جملة واحدة بل لا بدّ فيه من التدريج فتغرس أصوله في النفس، ثمّ ينمى حتى تتهدّل أغصانه وتجنى ثماره. »[1]وقد ركّز القدماء على ضرورة التدريج فلا تلقى العلوم دفعة واحدة للمتعلّم ، بل بحسب قدراته النفسيّة والعقليّة والجسديّة.

والعلم كالطائر لا يُخْدَع إلّا بالصّيد ، وهو صيد نادر يعلق بالقلب والعقل معا،ولا يعلق إلّا بالحفظ ، وحمله على الروح ؛فالروح هي مهجة الإنسان .ولتحصيله لابدّ من الاقتصاد في العيش والادخار فيه من أجل سعة العلم والفكر. وهناك أمور أخرى تساعد على مدارسة العلم وهي التحقيق والتعليق والتوفيق.وختم الهمذاني هذه المقامة ـ كعادته في الكثير من مقاماته ـ بأبيات من الشعر.

ومن خلال ما سبق في هذه المقامة أخلص إلى أنّها تدور في مجملها حول الطريقة المثلى لتحصيل العلم والتّعمّق في دفائنه ، ومعرفة دقائق كنهه ، والتوصّل إلى دره وجواهره ، ومسائله وأسراره ، فلا يحصل ذلك بالقوّة أوبالحظّ أوبالوراثة ، وإنّما يكون ذلك بالجدّ والاجتهاد والمشقّة من سفر وسهر ونظر وفكر ، وهجر للنوم والدّعة والكسل.

14 ـ المقامة الصّيْمريّة :

هذه المقامة نسبة إلى الصَّيْمَرة ، وهي موضع في البصرة ينسب إليه أبو العنبس الصَّيْمَري محمد بن إسحاق بن إبراهيم الشاعر المطبوع صاحب التصانيف الهزليّة(ت278 هـ)[2].

وكان بديع الزمان قد ذكر قولاً رواه عيسى بن هشام عن أبي العنبس الصّيمري الذي قَدِم من الصّيمرة وصحب أهل مال وجاه ، وجلسوا على ما لذّ وطاب من النعيم ، ولما جلسوا قال أبو العنبس كنت عندهم أعقل من عبد الله بن عبّاس ... إلى آخر ما أوردناه من هذه المقامة.

وفي هذا الجزء أكثرَ بديع الزمان من ذكر الشخصيات ، لكن هذه المرّة وظَّف منهجاً تعليمياً بطريقة أخرى وهي توظيف المثل والاستعانة به واتخاذه كوسيلة لتوكيد المعنى وتوضيحه ، وتقريبه للذهن وترسيخه فيه. وأورد عدة أمثال بصيغة أفعل التفضيل.

ومن بين تلك الأمثال التي ضربها قوله : أعقل من عبد الله بن عباس ، وابن عباس رضي الله عنه صحابيّ جليل وهو ابن عمّ رسول الله ، ودعا له الرسول بالتفقّه في الدين وتعلّم التأويل ،وتوفي سنة ثمان وسبعين للهجرة [3] وكان ابن عباس من أعلم الصحابة وكان ترجمانا للقرآن لذلك ضُرِبَ به المثل في رجاحة العقل.

---

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص211 . والكلام للشارح بالهامش.

[2] – ينظر : معجم البلدان ، ج3 ، ص498 ، 499 .

[3] – ينظر : وفيات الأعيان ، ج3 ، ص62 .

ومن تلك الأمثال السائرة بين العرب التي أورده الهمذاني في هذه المقامة : أبلغ من سحبان وائل؛ وهو سحبان بن زفر بن إيّاس ويحكى أنّه دخل على معاويّة وعنده خطباء القبائل فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه فأمره معاوية بالخطابة فخطب من الظهر حتى فات العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقّف ولا حاد عمّا كان يخطب فيه ، فقال له معاوية : أنت أخطب العرب. قال له : بل أخطب الجن والإنس ، قال له : أنت كذلك.[1]

« وللأمثال في الكلام مواقع الأسماع ، وتأثير بالقلوب... لأنّ المعاني بها لائحة والشواهد عليها واضحة والنفوس لها وامقة[2] ، والقلوب بها واثقة ، والعقول لها موافقة ولذلك ضرب الله تعالى الأمثال في كتبه وجعلها من دلائل رسله ، وأوضح بها الحجّة على خلقه ، لأنّها في العقول مقبولة ، وفي القلوب معقولة. »[3]

إذن لما كان للمثل هذا التأثير في النفوس ، والقبول في العقول، والثقة في القلوب ، وظّفه الهمذاني بكثرة ، وهو بحقّ من أنجع الوسائل التعليمية. ولما تتبّعت مقاماته وجدت فيها الكثير من الأمثال والحِكم التي نطقت بها العرب قديماً ، لأنّه أدرك مزيّة الأمثال ودورها فهي تحمل المعنى دون تجريح أو تصريح بل تشير إليه إشارة خفيّة ، بلفظ ظريف ، ومعنى لطيف.

15 ـ المقامة الشعرية :

وهذه المقامة نسبة إلى الشعر، وقد خصّص الهمذاني للشعر مقامة أخرى أسماها القريضيّة ـ ذكرناها سابقا ـ كما أنّه كان يوشّح مقاماته بالأشعار الكثيرة إنْ في ثناياها ، وإنْ في آخرها ؛ وكانت تلك الأشعار تحمل فوائد جمّة لا سيّما فيما يتعلّق بتعليم الأخلاق ،كما يدلّ هذا الإكثار من الشعر على شغف أبي الفضل بالشعر شغفاً عظيماً.

وفي هذه المقامة رحل بنا كاتبنا أحمد بن الحسين إلى بلاد الشام ، والشام وقتذاك بها أمّهات المدن : منبج وحلب وحمص ودمشق والبيت المقدّس والمعرّة ، ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قُسّم الخير عشرة أعشار فجعل تسعة أعشار في الشام وعشر في سائر الأرض.[4]

وهناك في بلاد الشام انضمّ عيسى بن هشام إلى رفقةٍ في حلْقةٍ يتذاكرون الشعر ويوردون أبيات معانيه ويتحاجون بمعاميه ، ومعنى ذلك أنّ كلّ واحد منهم يمتحن صاحبه «بعرض بيت من أبيات الشعر عليه مما قد خفي معناه على من لا رويّة له في روايته ولا نفوذ لقريحته في فهم دقائقه ، فإذا أصاب المعنى المراد دلّ على أنّه من فرسانه والمجلّين في ميدانه .»[5]

---

[1] – ينظر : جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، ضبطه: أحمد عبد السلام ، وخرّج أحاديثه : أبو هاجر محمّد سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1408هـ/ 1988م ، ج1 ، ص202 .

[2] – وامقة بمعنى محبّة.

[3] – أدب الدين والدّنيا ، الماوردي ، دار المنهاج ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1434هـ/2013 م ، ص 460 .

[4] – معجم البلدان ، ج3 ، ص354، 356 .

[5] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص230 . والكلام للشارح في الهامش.

وفي هذا جانب تعليمي مهمّ بدءاً بطريقة التحلّق ، فهي الطريقة التي كانت سائدة في التعليم قديماً ، وهي من أحسن الطرق لتلقّي العلم، فليت شعري تكون هي الطريقة السائدة اليوم ، لأنّ فيها ما فيها من إقبال على المعلّم واستثارة لكافة الحواس بأن تشارك في العمليّة التعليمية التعلّميّة.

وهناك جانب آخر بواسطة المذاكرة وليست أيّة مذاكرة ، وإنّما مذاكرة الشعر؛ ومنذ القديم أدرك الأدباء والمعلّمون ، والآباء والمربّون قيمة الشعر وترويته للناشئة ، وتلقينه لليافعين وحتى الكبار في السن ؛ لأنّ الشّعر ينمّي الأذواق ، ويصقل المواهب ، ويربّي القيّم ،ويشحذ الهمم ، ذلك أنّه يخاطب العواطف في الصدور ، فيجد القبول في العقول والقلوب.

وقد استخدام أبو الفضل في مذاكرة الشعر طريقة السؤال والجواب، المفعمة بالأحجية واللغز ، وهذه الطريقة ممتعة جداً لما فيها من تسليّة وتحدّي ؛ فكان يسأل عن أبيات خفيّة المعاني حتى يتحدّى بها الحضور ، ومن بين تلك الأسئلة :أيُّ بيت شطره يرفع وشطره يدفع؟ وأيُّ بيت كلّه يصفع؟ وأيّ بيت نصفه يغضب ، ونصفه يلعب؟

وكان يذكر بعض الإجابات عن تلك الأسئلة في هذه المقامة ويذكر البيت المقصود حينا ويترك الإجابة عن بعضها حينا آخر، ومثال البيت الذي شطره يرفع وشطره يدفع:

« ولله عندي جانب لا أضيّعه وللهو عندي والخلاعة جانب

فالنصف الأول يرفع صاحبه إلى منزلة الكرامة التي يختصّ بها أهل التقوى ، والنصف الثاني يدفع صاحبه عن تلك المقامات الرفيعة ويحرمه الرقيَّ إليها.»[1]

وفي نهاية هذه المقامة يقول عيسى بن هشام : فعلمنا أنّ المسائل ليست عواطل واجتهدنا فبعضها وجدنا وبعضها استفدنا.وهذا دليل على أنّ المسائل مهما كانت في العلم لابدّ من الاجتهاد في إدراكها ، فقد يصيب المتعلّم ويحظى بمرغوبه ، وقد لا يحظى بما يريده فيكفيه فخرا أنّه سلك طريق العلم والبحث فيه.

16 ـ المقامة المَطْلَبِيَّة :

هذه المقامة نسبة إلى المِطْلَب ، والمطلب هنا بمعنى الكنز و « سمي المطلب كنزا لأنّه من أعظم ما يتعلّق به الطلب.»[2] وفحوى هذه المقامة أنّ عيسى بن هشام اجتمع بجماعة أخلاقهم حسنة ، وزِيّهم كأخلاقهم ، وكانوا يتذاكرون فيما بينهم ، وبينهم شاب قصير لا ينطق ببنت شفة ، حتى أخذوا في الحديث عن الغنى وأهله وذِكْر المال وفضله.

فشرع الشاب في الحديث ، وبدأ بتقريعهم لذكرهم المال ، وتذكيرهم بحال الدنيا الفانية والمال فيها ليس إلا عاريّة ، ثمّ أسهب في الحديث وأخبرهم أنّ المال يملكه البخلاء لا الكرماء ، والجُهّال لا العلماء ، والفخر لا يكون إلّا في أحد أمرين : نسب شريف أو علم منيف.

[1] – مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ص231 . بالهامش.

[2] – المرجع نفسه ، ص252 .والكلام للشارح في الهامش.

لكنّه عاد وفاضَلَ بين النّسب والعلم ففضّل العلم وتعجّب منه بقوله : أَكْرِمْ بشيء يُحمل على الرؤوس حامله وهذا يدلّ على المكانة التي يحظى بها صاحب العلم إذا قارنّاه بصاحب المال والجاه ؛ فالمال دُولة بين النّاس وقد تنقلب حال صاحبه بين عشيّة وضحاها ويصبح أغنى الناس من أشقاها ، وصاحب الجاه يزول جاهه بزوال من أعطاه ذاك الجاه.

أمّا صاحب العلم فعلمه باق لا يزول ولا يحول حتى وإن مات صاحبه ، ولا أدلّ على ذلك من قول الإمام علي(ت40 هـ) كرّم الله وجهه (من البسيط):[1]

مـا الفضل إلا لأهل العلم إنّهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كـان يحسنه والجـــاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تطلب بـــــه بدلا فالنّاس موتى وأهل العلم أحياء

وكان بديع الزمان في مقاماته حريصا على الإعلاء من شأن العلم وأهله وكل ما يتعلّق به كلما سنحت له الفرصة فأكثر من ذكره .

[1] – ديوان الإمام علي ، الإمام علي بن أبي طالب ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار ابن زيدون ، (د.ت)، ص25.

خاتمة

إنّ البحث في المقامات ومع بديع الزمان الهمذاني رائق وشائق ، لا يُمَلّ منه ، ومن خلال بحثي عن المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني خلصتُ إلى جملة من النقاط ألخّصها فيما يأتي:

01 – المنهج التعليم يتضمّن جملة من الخطط والاستراتيجيات والقواعد التي يتم بها نقل المعارف والأفكار والعلوم والقيم والمبادئ فتساعد المتعلّم على التعلّم .

02 – المقامة هي فن نثري تعالج موضوعاً أدبياً أو دينياً أو موضوعاً مضحكاً مسلّياً بأسلوب مصنوع مسجوع وهي أقرب إلى القصّة الفنيّة القصيرة لكنّها لا تتضمّن جميع عناصرها الفنيّة.

03 – أحمد بن الحسين أبو الفضل بديع الزّمان الهمذاني هو صاحب الفضل والسّبق في إنشاء فن المقامة ، وإن تأثّر ببعض كتابات من سبقوه ، وهذا الفن لم يقف عنده بل تطوّر تطوّرا سريعا لإقبال الأدباء عليه.

04 – إنّ العمليّة التعليميّة التعلّميّة عند القدماء تقوم عل أسس رصينة ، ومبادئ متينة ، وركائز أثيلة ؛لا تُبْنَى إلّا عليها من أهمّها: المعلّم والمتعلم والمحتوى والمنهج والوسائل والبيئة التعليمية.

05 – للعمليّة التعليميّة عند القدماء أهداف ساميّة راعت جميع الجوانب الدينيّة والنفسيّة والاجتماعيّة...ولم تُغْفِل أيّ جانب من الجوانب الحياتيّة التي تتعلّق بالنّفس الإنسانيّة.

06 – التعليم الجيّد له شروط ومقوّمات لا بدّ أن تتوافر وتتفاعل مع بعضها البعض من أجل توفير الجهد والوقت والزيادة في الاستمتاع.

07 – من أفضل الطرق لتحقيق تعليم جيّد الطريقة الخلدونيّة ، فهي طريقة فعّالة وناجعة وصالحة لكل عصر وأوان.

وبعد تتبُّع مقامات الهمذاني بالبحث والتنقيب عن المنهج التعليمي الذي انتهجه فيها ، والطرق والآليات المؤدّية لذلك توصّلتُ للنتائج الآتية:

01 – الغاية الأولى والأساسيّة التي أنشئت من أجلها المقامة هي الغاية التعليمية والتي يُعْنَى بها تعليم الناشئة ألفاظ العربيّة الغريبة والحوشيّة. لذا كان الهمذاني يحشد تلك الألفاظ في مقاماته حشداً

02 – اعتمد الهمذاني التعليم بواسطة القصّة ،ولا يخفى ما في القصّة من تشويق. فكلّ مقامة تحكي قصّة ؛ وهذه القصّة تمثّل جانباً من جوانب الحياة الإنسانيّة في المجتمع نتعلّم منها فائدة ، أو نأخذ منها عبرة أو عظة وإن لم نتعلّم ذلك فحيلة من الحيّل.

03 – أكثر الهمذاني في مقاماته من الحوار بوصفه منهجاً تعليمياً وذلك باستخدام السؤال والجواب على طريقة الألغاز وما فيها من تحدٍّ.

04 – اتّخذ بديع الزمان منهجاً تعليمياً بواسطة ذكر الشخصيّات التي لها باع في العلم والفصاحة والبلاغة والتعريف بها ، وكان ينتصر لها حيناً ، وينقدها بذكر مثالبها حيناً آخر، ونجده يسمّي بعض مقاماته بأسماء الأعلام على نحو المقامة الجاحظيّة.

05 – تفطّن بديع الزمان إلى أنّ منابع العلوم ومعادن المعارف وكنه الأخلاق والقيّم والمبادئ ، ومواطن الفصاحة والبلاغة إنّما تكون في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فأكثَرَ الاقتباس منهما ، وكل منهج تعليميّ ينبغي أن يجعل منهما الأساس الذي يُبنى منه وعليه غيره.

06 – الشعر ديوان العرب ، وهو يلي القرآن والحديث في الفصاحة والبلاغة ، وعندما تتبّع تُ مقامات الهمذاني وجدت الشعر ثلثها أو يزيد ، حيث كان الهمذاني في بعض مقاماته يرتجل الشعر ويستشهد به ، وكان في مقامات أخرى يختمها بمقطوعات شعريّة تتضمّن فوائد قيّمة لا سيما ما يتعلّق بالأخلاق.

07 – التعليم بضرب الأمثال كان له نصيب في مقامات الهمذاني ، فرَجُلٌ مثله يتفنّن في الأسلوب ، ويتلاعب بالألفاظ ، يناسبه المثل لما فيه من كنايات ظريفة عن المعاني الخفيّة واللطيفة.

08 – استخدم الهمذاني منهجاً تعليمياً كان يكثر عند القدماء وهو التعليم بالوعظ ، فمقاماته لا تخلو من المعاني الدينيّة بل يظهر وكأنّه إمام خطيب في المسجد أو متنسّك زاهد فيه.

09 – مقامات الهمذاني مليئة بالنّكت والطُّرَف والمِلَح تجعلك في أريحيّة ، وتتعلّم منها مالا تتعلّمه من المحاضرات والدروس ، ويمكن القول عن هذا المنهج منهج التعليم بالفكاهة.

10 – تحفل مقامات الهمذاني بذكر أسماء البلدان والأماكن ، ويظهر ذلك جليّا من أسمائها ، وهذا فيه إشارة إلى أنّ طلب العلم لابدّ فيه من السّفر والتّنقّل والترحال ، كما أنّنا نتعلّم أشياء عن تلك البلدان وطبائع أهلها وطريقة عيشهم.

بالإضافة إلى ذلك ذكر العديد من الأمور التي لا غنى عنها لمعلّم أو متعلّم وهي من صميم المنهج التعليميّ كالمذاكرة والحفظ والكتابة والرواية والاستماع والإنصات والفهم وغيرها.

وبعد هذه النتائج أرجو أن أكون قد أسهمتُ ولو بالقليل في مكتبة التعليميّة القديمة التي مهّدت وساهمت في ظهور التعليميّة الحديثة ، و آمل أن يكون هذا البحث تمهيداً وتوطئة لبحوث أخرى آتية تفصّل في المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني مقامة مقامة ، تتحدّث عن كلّ صغيرة وكبيرة يُتعلّم منها تأتي على الأخضر واليابس فيها ، ولا تترك شاردة ولا واردة ممّا يتعلّق بالأمور التعليميّة.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية.
فهرس الأحاديث النبوية.
فهرس القوافي.
فهرس الأعلام.
فهرس المصادر والمراجع.
فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنيّة:

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
المائدة	﴿ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾	48	02
الأعراف	﴿ .ومن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	186	64
الحجر	﴿لَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩). ﴾	39	64
النحل	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	43	14
العنكبوت	﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾	49	14
فاطر	﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾	28	14
الزمر	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	9	أ
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	56	35
المجادلة	﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾	11	14
القلم	﴿ ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	1	28
العلق	﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾	3 و4	29

فهرس الأحاديث النبويّة:

الحديث	الصفحة
« إِنَّ مَثَل مَا بعَثني اللَّه بِهِ منَ الْهُدَى والْعلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضاً فكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ قبِلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس فَشَربُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعَوا. وأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّه ، وَنَفَعَه بمَا بعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»	14
« إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ...»	64

فهرس القوافي:

– أ –

أدلاء ص 71

أعداء ص71

أحياء ص71

– ر–

قراري ص54

نهاري ص54

– ق –

موثقه ص59

طالقه ص59

– م –

ينعم ص65

والقلم ص30

– ل –

هيكل ص57

من عل ص57

فحومل ص57

فهرس الأعلام:

- أ -

ابن جماعة : ص20 ، ص36 .

ابن الجوزي : ص9 .

ابن خلدون : ص17 ، ص18 ، ص22 ص23 ، ص24 ، ص25 ، 26 ، ص27 ص35 ، ص36 ، ص37 ، ص38 ، ص41 ص42.

ابن دريد : ص8 ، ص49.

ابن سحنون : ص16 ، ص35 .

ابن سينا : ص22 ، ص35 .

ابن شرف القيرواني : ص10 .

ابن شهيد : ص10 .

ابن الصفدي : ص10 .

ابن الصيقل الجزري: ص10 .

ابن عبد البرّ : ص35 .

ابن فارس : ص8 .

ابن ناقيا : ص8 .

ابن الوردي : ص10 .

أبو بكر الصدّيق : ص37 ، ص38 .

أبو العنبس الصيمري : ص68 .

أبو الفتح الإسكندري : ص49 ، ص56 ص65 .

أبو نواس : ص54 .

الألوسي : ص10 .

امرؤ القيس : ص50 ، ص57 .

ص63 .

جرير : ص50 ، ص54 ، ص58 .

- ح -

الحريري : ص7 ، ص8 ، ص9 ، ص11 .

حسن عبّاس : ص8 .

حسن العطّار : ص10 .

حمزة الكوفي : ص51 ، ص61 .

- خ -

الخفاجي : ص10 .

الخوارزمي : ص11 .

- ز -

الزرنوجي : ص17 ، ص19 ، ص20 ، ص29 ص35 .

زكي مبارك : ص8 .

الزمخشري : ص9 .

زهير بن ربيعة : ص50 ، ص57 ، ص58 .

- س -

سحبان وائل : ص54 ، ص68 .

سفيان الثوري : ص30 .

سيف الدولة الحمداني : ص53 ، ص66 .

السيوطي : ص10 .

- ش -

الشاب الظريف : ص9 .

شوقي ضيف : ص6 ، ص7 ، ص55.

- ط -

- ج -

الجاحظ : ص39 ، ص40 ، ص52 ، ص62

- ع -

عبد الله بن عبّاس : ص54 ، ص68.

عبد الله بن عمرو بن العاص : ص69.

عصمة بن بدر الفزازي : ص51.

معاويّة بن أبي سفيان : ص68 ، 69 .

علي بن أبي طالب : ص71.

عمر بن الخطاب : ص37 ، ص38 .

عمرو بن معد يكرب : ص54.

عيسى بن هشام : ص51 ، ص52 ، ص54 ص55 ، ص56 ، ص61 ، ص62 ، ص63 ، ص66 ص68 ، ص69 ، ص70.

- غ -

الغزالي : ص16 ، ص17 ، ص35 ، ص37 ص38.

غيلان بن عقبة : ص60 .

- ف -

فارس الشدياق : ص10.

الفتح بن خاقان : ص10.

الفرزدق : ص50 ، ص58.

- ق -

القابسي : ص16 ، ص35 .

قصير : ص54.

القلقشندي : ص10.

القوّاس : ص10.

- ك -

الكازوني : ص9 .

الكريدي : ص10.

طرفة بن العبد : ص50 ، ص57 .

- ل -

اللقيمي : ص10.

- م -

المبرّد : ص53 ، ص67.

المتنبي : ص30 ، ص65.

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ص14 ص15 ، ص39 ، ص60 ، ص64 .

مصطفى الرافعي : ص8.

- ن -

النابغة : ص50 ، ص57.

ناصيف اليازجي: ص10 .

- هـ -

الهمذاني : ص أ ، ص ب ، ص6 ، ص7 ، ص8 ص9 ص11 ، ص44 ، ص50 ، ص55 ، ص56 ص58 ، ص59 ، ص60 ، ص61 ، ص62 ص63 ، ص64 ، ص65 ، ص66 ، ص68 ص69 ، ص70 ، ص71 ، ص71 ، ص73 ص74.

- ي -

يوسف نور عوض : ص8 .

فهرس المصادر والمراجع:

أوّلا : القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيا : المصادر والمراجع :

01 – آداب العالم والمتعلّم عند المفكرين المسلمين من منتصف القرن الثاني الهجري وحتّى نهاية القرن السابع يحي حسين علي مراد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت).

02 – آداب المعلمين ، محمد بن سحنون، تح: حسن حسني عبد الوهاب ، مكتبة الفقه المالكي، تونس 1329هـ/1972هـ .

03 – إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ، 1426هـ/2005م.

04 – الإدارة الصفية، مقصي عابد الخرشية المساعيد ، دون ذكر دار نشر، 2012 م.

05 – إدارة الوقت و الأساليب المعوّقة في استخداماتها ، وليد الحيالي ، دون ذكر دار نشر ، 2015 م.

06 – إدارة مراكز مصادر التعلّم ، ربحي مصطفى عليان وعبد الحافظ سلامة ، دار اليازوري ، الأردن ، (د.ت).

07 – أدب الدين والدّنيا ، الماوردي ، دار المنهاج ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1434هـ/2013 م.

08 – أساسيات التدريس ، خليل إبراهيم شبر ، دون ذكر دار نشر أو تاريخه.

09 – الإشراف التربوي ماهيته – تطوره – أنواعه – أساليبه ، ريمة محمد وصوص و المعتصم بالله الجوارنة ، دار الخليج ، عمان ، ط1 1434 هـ/ 2014 م.

10 – الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.

11– البحث في العلوم الاجتماعية الوجيز في الأساسيات والمناهج والتناسيق ، علي معمر عبد المؤمن ، دار الكتب الوطنية بنغازي لبنان ، ط1 ، 2008م.

12 – البيان و التبيين ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط7 ، 1418هـ/1998 م .

13 – تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط8 ، (د.ت).

14 – التأصيل الإسلامي للأهداف المهاريّة ، تهاني أحمد جوارنة ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، (د.ت).

15 – تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ،بدر الدين بن جماعة ، تح: محمد بن مهدي العجمي دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ، 1433 هـ / 2012 م

16 – التربية والتعليم في الإسلام، محمد أسعد طلس ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، (د.ت) .

17 – التعلم والتعليم (مدارس وطرائق) ، جان عبد الله توما ،المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، ط 1 2011م.

18 – التدريس نماذجه ومهاراته ، كمال عبد الحميد زيتون، عالم الكتاب،القاهرة ،ط1 ، 1424 هـ/2003 م.

19 – تعليم التفكير ، إبراهيم بن أحمد الحارثي ، الروابط العالميّة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط4 ، 2009 م.

20 – تعليم المتعلم طريق التعلم، برهان الإسلام الزرنوجي، تح: مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1 1401هـ/1981م.

21 – التعليم المعرفي وإستراتيجيات معالجة المعلومات ، نادية حسين العفون ، ووسن ماهر جليل ، دار المناهج عمان ، ط1 ، 1434 هـ/2013 م.

22 – التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمته العبر ، أحميدة العوني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ،لبنان (د.ت).

23 – تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله النسفي، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس بيروت، لبنان ط1 ، 1416هـ/1996م.

24 – تقييد العلم ، الخطيب البغدادي ، تح : سعيد عبد الغفار علي ، دار الاستقامة ، القاهرة ، ط 1 1429 هـ/2008 م.

25 – تكنولوجيا التعليم ، أحمد إبراهيم منصور ، الجنادرية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2015 م.

26 – تكنولوجيا التعليم كفلسفة ونظام، زاهر أحمد، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،ط1، 1966 م.

27 – التوجيه في تدريس اللغة العربية ، محمد علي السمان ، دار المعارف ، القاهرة ، (د. ت) .

28 – جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر، تح:أبو الأشبال الزهيري،دار ابن الجوزي ، ط1 1411هـ/1994م.

29 – جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، ضبطه: أحمد عبد السلام ، وخرّج أحاديثه : أبو هاجر محمّد سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1408هـ/ 1988م.

30 – الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة، عدنان علي الفراجي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (د.ت).

31 – الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط 2 1384هـ/1965م.

32 – دروس في اللسانيات التطبيقيّة ، صالح بلعيد ،دار هومة ، الجزائر ، ط7 ، 2012 م.

33 – ديوان الإمام علي ، الإمام علي بن أبي طالب ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار ابن زيدون ، (د.ت).

34 – ديوان امرئ القيس ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، (د.ت).

35 – ديوان بديع الزمان الهمذاني ، تح: يسري عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان (د.ت) .

36 – الرسالة المفصّلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، القابسي، تح: أحمد خالد ، الشركة التونسية للتوزيع ط1 ، 1986م .

37 – رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية ، علي بن عبد الله الدفاع ، مكتبة التوبة ، دون ذكر مكان نشر ، (د . ت).

38 – السنن للإمام أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني ، تح : أبي تراب عادل بن محمد وآخرون ، دار التأصيل ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1436هـ/2015م.

39 – الشامل في المنهاج وطرائق التعليم والتعلم الحديثة، شادية عبد الحليم، صلاح أحمد فؤاد صلاح، مركز ديبونو لتعليم التفكير عمان، الأردن، ط1، 2016 م.

40 – شرح المعلّقات العشر المذهبات ، ابن الخطيب التبريزي ، تح : عمر فاروق الطبّاع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان (د.ت).

41 – شرح مقامات الحريري ، دون ذكر اسم الشارح ، دار الفكر للطباعة والنشر، 1326هـ.

42 – الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .

43 – صحيح البخاري وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه البخاري ، ترتيب وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم: أحمد محمد شاكر، دار ابن حرم، القاهرة، ط 1 1429هـ/2008م.

44 – علم النفس التربوي، عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 9 1435هـ/2014م.

45 – الفكاهة في النثر العباسي ، علي عزيز صالح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

46 – الفكر الإداري المعاصر في التربية والتعليم ، محمود داود الربيعي ، دار الكتب العلميّة ، (د.ت) .

47 – الفكر التربوي عند ابن خلدون، وابن الأزرق، عبد الأمير شمس الدين، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط 1 1404هـ/1984م.

48 – فن المقامات بين المشرق والمغرب ، يوسف نور عوض ، دار القلم ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1979م.

49 – الفهرست، النديم ، تح: رضا تجدّد، دون ذكر دار نشر ، (د.ت).

50 – القياس والتقويم في التربية والتعليم، هادي مشعان ربيع، دون ذكر دار نشر،(د ت) .

51 – كتاب التاج في أخلاق الملوك ، الجاحظ ، تح : عمر الطباع ، دار الأرقم ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

52 – كتاب السياسة، ابن سينا، تقديم: على محمد إسبر، بدايا للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2007م .

53 – كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1 ، 2003 م– 1424هـ.

54 – لسان العرب ، ابن منظورة ، دار صادر ، بيروت ، (د. ت).

55 – مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1439هـ/2018م.

56 – معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي ، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1،1993م.

57 – معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تح: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د.ت).

58 – ا لمعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، قام بإخراجه إبراهيم أنيس وآخرون،إشراف حسن على عطيه ومحمد شوقي أمين ، (د .ت) .

59 – معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط3 ، 2011.

60 – معنى الفن ، إياد محمد صقر ، دون ذكر دار نشر ، 2010 م.

61 – مقامات بديع الزمان الهمذاني، بشرح: محمد عبده ، دار الفضيلة ، القاهرة ، 2012 م.

62 – المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، نادر كاظم ، دار الفارس ، ط1 ، 2003م.

63 – المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي الحريري والحميدي خصوصا ، فرح ناز علي صفدر ، دون ذكر دار نشر وتاريخه.

64 – المقامة، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، (د.ت).

65 – مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار ابن الجوزي، مصر، القاهرة ، ط1 1431هـ/2010م.

66 – مناهج البحث العلمي ، عبد الرحمان بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط3 ، 1977م.

67 – المؤسّستيّة في الإسلام تاريخاً وتأصيلاً، رفعت السيد العوضي وآخرون، دار السلام، مصر ، القاهرة، ط1 1433هـ/2012م.

68 – النثر الفني في القرن الرابع ، زكي مبارك ، مؤسسة هنداوي ، مصر ، القاهرة ، 2013م.

69 – نشأة المقامة في الأدب العربي، حسن عباس، تق: محمد مصطفى هدّارة، دار المعارف، (د.ت) .

70 – الوسائل التعليميّة ، سمير جلوب ، دار من المحيط إلى الخليج ، الأردن ، ط 1 ، 2017 م.– الوسائل التعليميّة ، حمزة الجبالي ، دون ذكر دار نشر ، 2016م.

71 – وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنيّة ، رونال توفيق علي النورسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د.ت).

72 – وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1398هـ 1978م.

73 – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1403هـ/1983م.

فهرس الموضوعات :

مقدمة	أ – ج
مدخل : قراءة في مصطلحات العنوان	01 – 12
أوّلاً : مفهوم المنهج التعليمي	02
1 – مفهوم المنهج	02
2 – مفهوم التعليم	03
ثانياً : المقامة في الأدب العربي (المفهوم والنشأة والتطور)	05
1 _ المفهوم	05
2 _ النشأة	07
3 _ التطور	09
ثالثاً : ترجمة بديع الزمان الهمذاني	11
الفصل الأوّل : المنهج التعليمي عند القدماء	13 – 47
المبحث الأوّل : أسس العمليّة التعليميّة عند القدماء	15
المبحث الثاني : أهداف العمليّة التعليميّة عند القدماء	33
المبحث الثالث : شروط ومقومات التعليم الجيّد	41
الفصل الثاني : مقاربة تطبيقية للمنهج التعليمي في مقامات الهمذاني	48 – 71
المبحث الأول : المقامات التي تضمّنت المنهج التعليمي عند الهمذاني	49
المبحث الثاني : دلالات تطبيق المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني.	55
خاتمة	72
الفهارس	75 - 85
فهرس الآيات القرآنيّة	76
فهرس الأحاديث النبويّة	77
فهرس القوافي	78
فهرس الأعلام	79
فهرس المصادر والمراجع	81

فهرس الموضوعات	85

الملخص:

التعليم عمليّة فطريّة مستمرّة استمرار حياة الإنسان ، لكن لابدّ له من منهج تعليمي يضبطه ويقوّمه ، والمنهج التعليمي ظهر جليّا في آي القرآن العظيم ، وفي أحاديث الرسول الكريم ، وفي أقوال الصحابة رضوان الله عليهم كما كان حاضرا في مدوّنات الشعر والقصص وغيرها كالمقامات.

ومنه جاء عنوان بحثي هذا **المنهج التعليمي في مقامات الهمذاني** ، وأهم ما تضمّنه مقاربة تطبيقية للمنهج التعليمي في هذه المقامات والدلالات التي تهدف لها.

الكلمات المفتاحية : المنهج التعليمي ، المقامة ، الهمذاني.

Résumé

L'apprentissage est un acte et procesus d'instinct continu dans la vie humaine. Mais celà doit répondre à une didactique pour sa conception ainsi que de son évaluation. Le Coran et les conversations du Saint Prophète et dans les paroles des Saint Compagnons, est la source la plus adéquate. Ainsi que dans la poésie et dans l'histoire.

De cet effet découle l'intitulé de ma recherche **la didactique dans les locaux El-Hamadhani**.

Une comparaison appliquée de la didactique des locaux et les objectifs de sa signification sont les axes les plus importants dans cette étude.

Mots clés :

La didactique , Les locaux , El-Hamadhani

Abstract:

Learning is an act and process of continuous instinct in human life. For this purpose, it must respond to a didactic for its conception as well as its evaluation. The Qur'an and the conversations of the Holy Prophet and the words of the Holy Companions are the most appropriate sourcein addition to poetry and history. In this context, the study holds the title: The Research Didactics in the Local El-Hamadhani which includes an applied comparison of the didactics of the premises and the objectives of its meaning.

Key words:

Didactics , The locals , El-Hamadhani